جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

# بلاغة الاجتزاء بالكسرة عن الياء في سياق الخطاب القرآني للنبي ﷺ

***The Eloquence Of Separating The Kasra From The Ya In The Context Of The Qur'anic Speech Of The Prophet, May God Bless Him And Grant Him Peace***

إعداد

**د. ممدوح شعراوي محمود محمد**

الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقد بالكلية

( العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الرابع-نوفمبر)
(الجزء الثاني (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

# بلاغة الاجتزاء بالكسرة عن الياء في سياق الخطاب القرآني للنبي ﷺ

**ممدوح شعراوي محمود محمد.**

قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، أسيوط، جمهورية مصر العربية .

**البريد الإلكتروني**: *mamdouhmohammed.47@azhar.edu.eg*

**الملخص** :

هذا البحث من الأبحاث البلاغية التي تهتم بمعرفة أسرار النظم القرآني العظيم ، وتحاول أن تكشف عن سرٍّ من أسرار هذا الكتاب المعجز، حيث كان اهتمام هذا البحث قائمًا على الكشف عن أسرار حذف الياء والتعويض عنها بالكسرة لغير علة نحوية توجب ذلك في الخطاب القرآني المتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم ،من مثل قوله تعالى: (وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ) وقوله تعالى : (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ) إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي تختص بالنبي صلى الله عليه وسلم، وترى فيها حذف الياء والإشارة إليها بالكسرة من دون سبب من اللغة يوجب ذلك، ولما كانت الآيات في هذا البحث كثيرة ومتنوعة ، كان لا بد من تقسيمها إلى مجموعات مستقلة، ومن هنا جاء هذا البحث في خمسة مباحث أو أغراض تتحدث عن كل من : ألفاظ الهداية ، ولفظ الربوبية ،وآيات التحدي والوعيد والتهديد ، وآيات الحديث عن اليوم الآخر ، ونداء النبيِّ قومه ، وكان الهدف من النظر في هذه الآيات هو محاولة الكشف عن الأسرار الغامضة لظاهرة حذف الياء والاستغناء عنها بالكسرة في كل مبحث ، مع عدم الاعتماد على التعليلات التي تقول : إن حذف الياء جاء لمراعاة الفواصل ، أو أن ذلك من خواص الرسم العثماني ، أو أن ذلك جاء موافقًا للغة قوم من العرب ...إلى آخر ذلك.

**الكلمات المفتاحية** : بلاغة ، الكسرة ، الياء ، الخطاب ، النبي.

# The Eloquence Of Separating The Kasra From The Ya In The Context Of The Qur'anic Speech Of The Prophet, May God Bless Him And Grant Him Peace

*Mamdouh Shaarawy Mahmoud Mohamed.*

*Assistant Professor , Department of Rhetoric and Criticism , Faculty of Arabic Language in Assiut , Al-Azhar University , Arab Republic of Egypt.*

**Email***: mamdouhmohammed.47@azhar.edu.eg*

## Abstract:

***This research is one of the rhetorical researches that is concerned with knowing the secrets of the great Qur'anic systems, and attempts to reveal one of the secrets of this miraculous book, as the interest of this research was based on revealing the secrets of deleting the ya' and replacing it with a kasra for no grammatical defect that necessitates that in the Qur'anic discourse related to the Prophet, may God bless him and grant him peace. May God bless him and grant him peace, such as the Almighty's saying: (And you are not the guide of the blind from their error) and His Almighty's saying: (And if they dispute with you, say, "I have submitted my face to Allah and to those who follow me.") In addition to other Qur'anic verses that are specific to the Prophet, may God bless him and grant him peace, in which you see the deletion of the ya' and referring to it with a kasra without a reason in the language that necessitates that, and since the verses in this research are many and varied, it was necessary to divide them into independent groups, and from here this came. Research into five topics or purposes that talk about each of: the words of guidance, the words of lordship, the verses of challenge, threat, and threat, the verses of talking about the Last Day, and the Prophet's call to his people. The aim of examining these verses was to try to reveal the mysterious secrets of the phenomenon of deleting the ya' and dispensing with the kasra in every topic, without relying on the explanations that say: The deletion of the ya came to take into account the commas, or that this is one of the characteristics of the Uthmanic script, or that this came about. In accordance with the language of some Arabs...etc.***

**Keywords:** ***Eloquence , Kasra , Ya , Al-Khattab , The Prophet.***

## المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا [١] ، والصلاة والسلام على خير خلق الله، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن والاه ... **ثم أما بعد** ...

فمن المُسلَّمات التي لا شَكَّ فيها ولا امْتِراء، ولا يختلف في أمرها أهل الأهواء، أن للقرآن الكريم خصوصيات ليست لغيره، واستعمالات ليست لسواه، سواء أكان ذلك في رسم كلماته، أم في دلالتها ونطقها، أم في الوقوف عليها والابتداء بها.

وعليه فخصوصيات الذكر الحكيم بحرٌ لا يُرى له نهاية، وروضات ليستْ لآخرها غاية، ولمَّا كانت كذلك آثر الباحث أن يضع يده على لؤلؤة خريدة، وياقوتة فريدة، اختص بها النظم الكريم دون ما سواه من المؤلفات والكتب ، ألا وهي :

**(الاجتزاء بالحركة عن الحرف لغير صناعة لغوية)**

حيث إن النظم الشريف كثيرًا ما يَستعيضُ بالحركة عن الحرف، سواء استغنى بالفتحة عن الألف كما في كلمة ( بُنيَّ ) الواردة في قوله تعالى: ﴿يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ [٢] حيث إن أصلها: يا ( بُنَيَّا ) بالألف، فحذفت الألف تخفيفاً واجتزأ عنها بالفتحة [٣] وكما في كلمة (أمَّ) في قوله تعالى:( قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي) [٤] حيث إن الأصل ( أمِّي ) فحذفت منها ياء المتكلم وعُوِّض

---

(١) سورة الكهف آية : ١.

(٢) سورة هود من الآية ٤٢

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٦/ ٣٣١ بتصرف تح: الدكتور أحمد محمد الخراط/ الناشر: دار القلم، دمشق

(٤) سورة الأعراف آية: ١٥٠.

عنها بالألف ، ثم حُذفت الألف وعُوِّض عنها بالفتحة [١]،أو كان الاستغناء بالضمة عن الواو كما في قوله تعالى: وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولًا [٢] وقوله: وَيَمْحُ اللَّهُ البَاطِلَ وَيُحِقُّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ [٣] وقوله: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ [٤] ، وقوله: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ [٥]

فأنت ترى أن الكلمات (يدعُ، يمحُ ، سندعُ) قد اكتفى النظم فيها بالضمة عن الواو من غير علة نحوية توجب ذلك.

أو كان الاستغناء بالكسرة عن الياء . وهذه أكثرها وجودًا في القرآن الكريم . كما في :

كلمة (أبتِ) الواردة في قوله تعالى : يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا [٦] .

وكلمة (عبادِ) في قوله: قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ... [٧].

والفعل الماضي (هدانِ) في قوله : قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ... [٨] .

والفعل المضارع (نبغ) في قوله : قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ... [٩] .

---

(١) ينظر : إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش ٤٥٨/٣ (دار اليمامة – دمشق – بيروت ) ط: الرابعة ، ١٤١٥ هـ

(٢) سورة الإسراء آية : ١١.

(٣) سورة الشورى آية : ٢٤.

(٤) سورة القمر آية : ٦.

(٥) سورة العلق آية : ١٧ . ١٨ .

(٦) سورة مريم آية : ٤٢.

(٧) سورة الزمر آية : ١٠ .

(٨) سورة الأنعام آية : ٨٠ .

(٩) سورة الكهف آية : ٦٤ .

وفعل الأمر (اخشون) الوارد في قوله : فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْن ... [١].

وقد ورد بالياء في موضع آخر حيث يقول سبحانه : فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [٢] .

إلى غير ذلك من الكلمات التي اجتزأ النظم فيها بالكسرة عن الياء، وقد راقتني مثل هذه المواضع، وأردتُ أن أتتبع طرائقها، وأن أسير وراء مشاعلها، لعلي أقف على شيء من خصائص هذا النظم الكريم ...

وعندما عقدت العزم على السير في هذا المَهْيَعِ الخصيب تَمَلَّكني شيءٌ من الخوف، واجتاحني قدرٌ من التردد، وكان مردُّ ذلك كله إلى سؤال طاف في مُخيلتي ، ورَفْرَف فوق بُنَيَّاتِ عقلي، مُفادُه : هل أنت ممن انقطع لتحصيل البيان، وتَدَرَّع بسلاح المعرفة، واعتكف في معاقل العلم حتى فاض نبعُها بين يديه ، وأشرقت شموس علومها عليه؛ كي تتصدَّر لِمَا اختص به العلماء، وترى لنفسك فيها مكانًا بين السادة النجباء ؟ أو أنك ستعود من وراء ذلك (بخُفَّيْ حُنَيْن) ، (وتَرْضَى مِنَ الغنيمةِ بالإياب) ، وعندها سأكون (كالباحثِ عَنْ حَتْفِهِ بظِلْفِه. والجادعِ مارِن أنْفِهِ بكفّهِ) [٣] .

وكيف لا ؟ وكلام الله ليس ككلام ما سواه من البشر، الذي من الممكن أن تُصيب وتُخطئ في بيان أسراره وسَبْر أغواره، والوقوف على مقاصده وأهدافه ، ومع كل ذلك دفعتُ عن نفسي غَائلةَ الإحجام، وامتطيتُ صهوة الإقدام، وعزمتُ على طرق الباب، وابتغاء الثواب، لعلَّ الله أن يفيض على نفسي شيئًا من إشراقات المعرفة حتى

---

(١) سورة المائدة آية : ٤٤ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٥٠ .

(٣) مقامات الحريري ص ٦ . مطبعة المعارف . بيروت . ١٨٧٣م .

يُضيء بها ما خفي عليَّ من مسارب هاتيك الخصوصيات، ويأخذ بيدي إلى أضواء تلك التراكيب وهذه اللَّبنات، مستعينًا ـ بعد عون الله ـ بإشاراتٍ تركها لنا السادة الفضلاء، ولمحات دبَّجها يَراعُ أهل العلم الأوفياء في مؤلفاتهم وثنايا كُتبهم، حيث كانت هذه اللمحات نبراسًا يُضيء لطلاب المعرفة دَياجر الطرقات، وسراجًا يكشف لهم عَماية الظلمات، ليأخذ بأيديهم إلى ما استغلق عليهم فهمُه، وعسُر عليهم أمره.

وقد طالعتُ كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مراتٍ عديدة، فوجدتُ أن الاجتزاء بالحركة عن الحرف من الكثرة بمكان ، حتى إنه لا يستطيع باحث بمفرده أن ينهض للكشف عن أسرار هذا الاجتزاء في كل القرآن الكريم، أو محاولة الوصول إلى خبيء المكنون في هذه الصدفة اللؤلؤية ، بل إن الأمر يحتاج إلى تعاضد الجهود، وتكاتف الطاقات من الباحثين النابهين؛ لرصد مواقع هذه الخصيصة، ومحاولة استجلاء لطائف أسرارها، والوقوف على خَفيِّ أغوارها، حتى تتبدَّى خفاياها في مرآة ناصعة، وتتراءى للقارئ في صورة لامعة، ليضيفوا بذلك إلى المكتبة البلاغية وجهًا آخر من وجوه إعجاز هذا النظم الكريم (الذي لا تنقضي عجائبه) و لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [(١)].

ومن ثمَّ عقدتُ العزم على السير في روضة (الاجتزاء بالكسرة عن الياء في الذكر الحكيم) لكونها أكثر الظواهر الثلاث في القرآن الكريم وجودًا، ولكن لمَّا وجدتُ تلاحم أزهارها، وتعانق أشجارها بصورة شامخة وهيئة بازخة، يصعب علي اقتحام سُورها واجتناء ثمارها، آثرتُ الاقتصار من هذه الروضة على خير ما فيها والاكتفاء بأغلى لآليها، لِكون الآيات التي فيها متعلقة بخير الخلق ﷺ ، ومن هنا جاء هذا البحث تحت عنوان :

---

(١) سورة فصلت آية : ٤٢.

(بلاغة الاجتزاء بالكسرة عن الياء في سياق الخطاب القرآني للنبيِّ ﷺ)

## أسباب اختيار الموضوع:

تكمن أسباب اختيار هذا الموضوع في ثلاثة أمور هي :

١- عدم وقوف كثير من البلاغيين عند تفسير ظاهرة الاجتزاء بالكسرة عن الياء في القرآن الكريم ، وما جاء منها كان مقتضبًا مرة، وعامًا مرة أخرى.

٢- الخوف من اتهام الرسم العثماني بعدم الضبط في رسم بعض الكلمات، خاصة المتشابهة في النظم، حيث ترى الكلمة تأتي مرة تامة الأحرف، وأخرى مجتزأة بالكسرة عن الياء، كما في قوله تعالى: مَن يَهْدِ اللَّـهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١)، وقوله: مَن يَهْدِ اللَّـهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (٢) وقوله : وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ (٣) بذكر الياء في كلمة (هادي) وبحذفها في قوله: وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ (٤).

٣- الرغبة في جمع شتات إشارات السادة العلماء والبلاغيين حول هذا الموضوع مع إضافة ما فتح الله به على الباحث؛ ليكون كل ذلك معينًا للقارئ صاحب الذوق الشفيف على إدراك شيء من أسرار هذا النظم الكريم.

## إشكالية البحث:

تكمن إشكالية هذا البحث في عدم وضوح الأسباب التي أدَّت إلى هذا الاجتزاء

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٨ .

(٢) سورة الكهف آية : ١٧ .

(٣) سورة النمل آية : ٨١ .

(٤) سورة الروم آية : ٥٣.

في كثير من الكلمات التي تحمل هذه الظاهرة ، مما يجعل الكشف عن أسرار هذه الظاهرة من الصعوبة بمكان، مع عدم الرضا عن بعض التعليلات التي قيلت في مثل الكلمات التي معنا؛ لكونها تعليلات عامة لا يرتضيها أرباب البلاغة النابهون.

## الهدف من البحث:

يتجلى الهدف من وراء هذا البحث في استجلاء الأسرار الغامضة لظاهرة الاجتزاء بالكسرة عن الياء في الخطاب القرآني للنبي ﷺ وعدم الوقوف عند التعليلات التي تركن في ذلك إلى مثل : مراعاة الفواصل، أو لكون ذلك من خواص الرسم العثماني، أو غير ذلك مما لا يُرضي صاحب الذائقة البيانية، الذي يرى أن هناك علًا لمثل ذلك عَرَفَها مَنْ عرف وجَهِلَها مَنْ جَهِل.

## المنهج :

ومما ينبغي التنبيه إليه هنا أن هذه الدراسة اتخذت من المنهج الوصفي تربة خصبة سُقيت ورُويت ببعض التحليلات البلاغية حتى خرج البحث على هذه الصورة، التي أرجو لها التمام والقبول.

## الدراسات السابقة:

لم أَرَ – فيما طالعتُ – أبحاثًا تخصصت في مثل هذا الموضوع ، اللهم إلا ما كان من دراسات عامة حول رسم المصحف الشريف، وقد وقف الباحث على عدد من تلك الدراسات، كان من أهمها ما يأتي:

١– لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف، لشيخنا الجليل أ.د/ عبد العظيم المطعني في جزأين .تقديم أ.د/إبراهيم الهدهد– صادر عن مجلة الأزهر الشريف.

٢– الإعجاز الدلالي والبياني في الرسم العثماني د/ حمدي الشيخ – منشأة

المعارف– الإسكندرية ١٤٣٠هـ ٢٠١٠م.

٣– الإعجاز القرآني في الرسم العثماني – عبد المنعم كامل شعير– مكتبة المهتدين . من دون تاريخ.

٤– الجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن د/ سامح القليني – مكتبة وهبة – ط الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٥– الياء في الرسم العثماني بين الزيادة والنقصان وأثر ذلك في المعنى، د/ قصي فرحان أحمد السيد – مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة – العدد ٣١ مجلد ٢ سنة ٢٠١٤م.

وقد يظن القارئ لعنوان البحث الأخير- من الوهلة الأولى - أنه قرين لبحثي الذي بين يدي القارئ الكريم ، ولكن بمطالعة هذا البحث يتبين أنه مهتم بحصر الكلمات التي زيدت فيها الياء، مثل كلمة (أيد) التي جاءت بياءين في الرسم العثماني كما في قوله تعالى: وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ [(١)] وكلمة (أفإن) التي زيدت فيها الياء في قوله أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ [(٢)] كما قام بحصر الكلمات التي حذفت منها الياء كما في مثل (الداعِ، وعبادِ، يا أبتِ، فاتقونِ، فارهبونِ، أطيعونِ ....) إلخ ذلك .

وكان عمله في الزيادة والنقصان هو الحصر مع الإحالة على كتب القراءات لبيان أوجه القراءة في مثل ذلك.

وكلمة (وأثر ذلك في المعنى) الواردة في عنوان البحث كان نصيبها منه ذِكْر تعليلات

---

(١) الذاريات آية : ٤٧ .

(٢) آل عمران آية : ١٤٤.

عامة لا تَروي غُلة الباحث البلاغي ولا تُطفئ ظمأه، مِنْ مثل :

لكون ذلك (يعني حذف الياء) يُمثل لغة بعضهم، أو أنَّ الحذف لتناسب رؤوس الآي مع بعضها، أو أن الحذف جاء للاختصار وعدم الإطالة ... إلخ ذلك.

أما بيان الأسرار البلاغية التي يهفو إليها أصحاب البيان الرائق فلم تكن محل اهتمام الباحث أو نُصب عينيه.

وكان لِما سَطَّره يراعُ شيخنا الجليل أ.د/ عبد العظيم المطعني، وما وُجد عند كلٍّ من الدكتور/ حمدي الشيخ، وعبد المنعم شعير ، وسامح القليني، كبير الأثر في شحذ همة الباحث للنهوض بعمل بحث قائمٍ بذاته يتناول فيه الآيات المُخاطب بها ﷺ في هذا الوادي، على أملٍ أن يخرج إلى الميدان أناس آخرون يتناولون مثل ذلك في قصة سيدنا إبراهيم أو موسى أو هود أو ثمود ... أو غير ذلك من أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام – ...والله الموفق والمعين

هذا وقد شاءت إرادة الله – جلَّ في عُلاه – أن يأتي هذا البحث في خمسة مباحث تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة وبعض الفهارس.

**أما المقدمة** : فذكرتُ فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وإشكالية البحث، والهدف منه ، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة.

**وأما المبحث الأول** : فكان بعنوان :

(بلاغة الاجتزاء بالكسرة عن الياء في ألفاظ الهداية وما يتصل بها )

**وأما المبحث الثاني**: فجاء بعنوان :

(بلاغة الاجتزاء بالكسرة عن الياء في لفظ الربوبية)

**وأما المبحث الثالث**: فكان عنوان :

(بلاغة الاجتزاء بالكسرة عن الياء في سياق التحدي والوعيد والتهديد وما يضادها)

**وأما المبحث الرابع** : فجاء تحت عنوان :

(بلاغة الاجتزاء بالكسرة عن الياء في سياق الحديث عن اليوم الآخر)

**وأما المبحث الخامس**: فكان بعنوان :

(بلاغة الاجتزاء بالكسرة عن الياء في سياق نداء النبيِّ قومه ﷺ )

**ثم تأتي بعد ذلك الخاتمة** ، وفيها أهم النتائج التي رصدتها هذه الدراسة .

**ثم فهرس المصادر والمراجع**.

**وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم**

## المبحث الأول

## بلاغة الاجتزاء بالكسرة عن الياء في ألفاظ الهداية وما يتصل بها

الناظر بين دفتي الكتاب الكريم يتبين له أن الآيات التي تحدثت عن الهداية قد أخذت منه بحظ وافر، وكيف لا ؟ ورسالة الأنبياء جميعًا جاءت لهداية البشر إلى معبود واحد، وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور اليقين.

وجملة آيات الهداية المخاطب بها ﷺ وما يتصل بها – تحت مظلة هذا البحث – بلغت خمس عشرة آية، جاءت متعددة الأغراض، متنوعة المقاصد، ومن ثمَّ كان لزامًا على الباحث أن يتناولها على حسب مقاصدها ووفق أغراضها، وعليه فقد جاءت آيات الهداية الخاصة به ﷺ على النحو الآتي:

### أولًا: ما ورد من آيات الهداية لتسلية النبي ﷺ على عدم إيمان قومه:

حيث يقول سبحانه: وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا [1] حيث أراد الحق سبحانه أن يسلي رسوله ﷺ ويخفف عنه حزنه بسبب عدم إيمانهم به؛ ليعلمه أنه سبحانه (حرمهم الاهتداء لَمّا أخذوا بالعناد قبل التدبر في حقيقة الرسالة). [2] .

حيث أنكروا أن يأتيهم رسول يهدي إليه سبحانه، ويكون من جملة البشر وفي ذلك يقول سبحانه :

---

(١) الإسراء آية : ٩٧.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢١٥/١٥ ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ١٩٨٤م.

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا * قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا * قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (١).

وعليه فالسياق الخاص بكلمة (المهتد) في سورة الإسراء هو التسلية والتخفيف عنه ﷺ بسبب عدم إيمان قومه به، ومن ثَمَّ فالحديث عن الهداية هنا حديث وارد في (قضية جزئية) وليست قضية كلية شاملة، ومناط جزئيتها: كيف يرسل الله إلى الناس بشرًا من جِلْدتهم ورسولًا كهيئتهم دون أن يكلف الله ملكًا بهذا الأمر ؟

ومن هنا رتَّب الله على عدم اعترافهم بكون الرسالة بشرية ضلال من تمسك بهذه الدعوى وعدم وجود من يرشده إلى الصراط المستقيم ، ومن ثَمَّ قال: وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٢) .

وعليه لما كان سياق الحديث عن أمر جزئي وليس كليًا- وهو عدم الاعتراف بأن يكون الرسول من جملة البشر -كان الاجتزاء بالكسرة عن الياء في كلمة (المهتد) للدلالة على أن الهداية هنا هداية إلى قضية جزئية وليست كلية ، وهذا من بلاغة النظم الكريم في محاكاة اللفظ رسمًا لما يدل عليه معنى .

وقريبٌ من ذلك ما تراه في سورة الكهف من مجيء الكلمة ذاتها دون ياء في قوله تعالى: وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت

(١) الإسراء الآيات : ٩٤ ـ ٩٧ .

(٢) الإسراء : آية ٩٧.

تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًا مُّرْشِدًا [١] حيث إن المتأمل في السياق الخاص للكلمة داخل الآية يراه متحدثًا عن (قضية فرعية) هي: حركة دوران الشمس على أصحاب الكهف، وكيف أن الشمس كانت لا تتعامد على أجسادهم، بل تميل عنهم يمينًا وشمالًا حفظًا لهم من الله، وإكرامًا لذواتهم .

ومن ثَمَّ لما كانت القضية المتحدث عنها هنا قضية جزئية وليست كلية ناسب ذلك أن يجيء لفظ (المهتد) دون ياء دلالة على ذلك.

وليس هناك ما يمنع أن يكون حذف الياء في آيتي الإسراء والكهف من كلمة (المهتد) للدلالة على سرعة الاهتداء وشغف القبول له في كلٍّ من الموضعين ، إذ إنه في (الإسراء )كان الحديث قبل الهداية عن " عباده " حيث يقول: إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا [٢] وتحسينًا للظن بهم قدم سبحانه أمر الهداية فقال: ومَن يَهْدِ اللَّهُ ثم جعلهم متسارعين في الدخول فيها فقال: فَهُوَ الْمُهْتَدِ ثم تجد تناسبًا بين الاجتزاء بالكسرة الدالة على المسارعة في أمر الهداية، وبين إظهار لفظ الجلالة في أمر الهداية وحدها ومَن يَهْدِ اللَّهُ دون ما يُقابلها من أمر الضلال وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ثم في (الكهف) تجد مسارعة هؤلاء الفتية في الاهتداء سببًا للاجتزاء بالكسرة وتصويرًا لحالهم في تسابقهم إلى رضا خالقهم ، ولأجل هذه المسارعة بُنيت جملة الجواب والشرط على الفاء فَهُوَ الْمُهْتَدِ لمراعاة التعقيب والسببية في أمرهم هذا، إذن لمَّا كانوا في الإسراء ( عباده ) وكانوا في الكهف (فتية

(١) الكهف آية : ١٧ .

(٢) الإسراء آية : ٩٦ .

آمنوا بربهم )، كان كلُّ ذلك سببًا لمسارعتهم إلى أمر الهداية، ومن ثمَّ حُذفت الياء من كلمة (المهتد) في الموضعين .

ومن ثمَّ تجد النظم الكريم عند تغير الحال واضطراب العقيدة وطغيان الفساد وشيوعه يُثبت الياء في كلمة (المهتدى ) من دون أن يكون هناك اجتزاء بالكسرة عنها، وذلك واضح بيِّن في قوله تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ * مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [1] حيث إن السياق يُبيِّن كيف خلع ذلك الشقي ثوب الإيمان ونبذه ،وترقَّى في درجات الضلال فكان بمساعدة الشيطان من الغاوين ـ وليس المَغْوِيين ـ فأصبح مندوبًا عن الشيطان في إضلال غيره، ومن ثمَّ أخلد إلى الأرض ، واتبع هواه، فكان من الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ [2] وعليه تجد في الآيات صعوبة في أمر الاهتداء جرَّاء ما سبق، وليس بها شيء من اليسر كما كان في (الإسراء ) و (الكهف ) ،إذ إنَّ أمر الهداية هنا يحتاج إلى رسوخ القدم في الإيمان، والعض عليه بالنواجذ، وشدةُ الثبات على الإيمان والتمسك به في وقت شيوع التكذيب وانطماس الفطرة السوية أحوج إليه من وقت التسليم والانقياد والطاعة ، ومِنْ ثمَّ أثبت النظم الياء في كلمة المهتدي فقال: مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ إشارة إلى الثبات المطلوب في هذا الوقت دون ما سواه .

---

(١) سورة الأعراف الآيات : ١٧٥ ـ ١٧٨ .

(٢) سورة البقرة آية ١٦ .

ومن ناحية أخرى يمكن أن يقال :إن القارئ الكريم إذا وسَّع دائرة النظر في الآيات التي جاءت فيها كلمة (المهتدي) يَبِيْنُ له سبب آخر يكون داعيًا إلى إثبات الياء فيها ، وما ذاك إلا لأن الحديث فيها كان عن قضية كلية تتمثل في الإيمان بالله تعالى والاعتراف بربوبيته من قبل إيجاد الخليقة، وفي ذلك يقوله سبحانه :

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ * وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا القَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ * مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ [١] .

ومِنْ ثَمَّ رتب الله تعالى على عدم الهداية في هذه القضية الخسرانَ العام، لماذا؟ لأنه ضلال من نوع أكبر وهو عدم الإيمان بوجود الحق سبحانه والاعتراف بألوهيته، وعليه لما تعلق الأمر بقضية كلية شاملة جاء التعبير بكل حروف (المهتدي) دون أن يجتزئ منها شيئًا، إشارة إلى أن الاهتداء إلى هذه القضية هو الاهتداء الأكمل والأتم، ومن هنا جاءت الكلمة تامة دون أن يحذف منها شيء.

وعليه يمكن القول بأن : (المهتد: هو من يهتدي إلى قضية فرعية، والمهتدي: هو

(١) سورة الأعراف الآيات : ١٧٢ ـ ١٧٨ .

من يهتدي إلى القضية الكبرى وهي الإيمان بالله) [١] ...والله أعلم.

## ثانياً: رجاء الزيادة في هداية المعونة:

وذلك حين سأل (المشركون النبي ﷺ عن أهل الكهف وذي القرنين، فوَعَدهم بالجواب عن سؤالهم من الغد، ولم يقل: إن شاء الله ، فلم يأته جبريل ـ عليه السلام ـ بالجواب إلا بعد خمسة عشر يومًا ... فكان تأخير الوحي إليه بالجواب عتابًا رمزيًا من الله لرسوله ﷺ)[٢] حيث لم يقرن ﷺ وعده بالإجابة بقوله : إن شاء الله، ومن ثَمَّ لقنه الحق سبحانه ما يقوله في مثل ذلك فقال له :

وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا [٣]

والناظر في الآية على وجه العموم يتبين له أن الهداية المرجوة هنا هي هداية معونة وليست هداية دلالة ؛ لأنه ﷺ مهتدٍ قبل سؤال المشركين له ذلك ، وإنما رجاؤه هنا زيادة في طلب الهداية ؛ ليترقى ﷺ في مدارج الكمالات ، ومن ثَمَّ بُنيت الآية على التلقين وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا .فكان الاجتزاء في كلمة (يهدين ) تصويرًا للانتقال في مدارج الكمال ؛ لأنها هداية يعقبها هداية وسمو يتبعه آخر ، ثم انظر إلى قوله ( لأقرب ) تجده يدل على ترقِّيه في مراتب القرب ، وهى غير محصورة ولا متناهية، وهذا يستلزم هداية المعونة منه سبحانه، ومِنْ ثَمَّ

---

(١) عجائب القرآن الكريم الدليل على صدق التنزيل ـ زياد السلوادي ـ .١٥ الدار العربية للعلوم ـ ناشرون ـ ٢٠١٣م

(٢) التحرير والتنوير ٣٩٥/١٥.

(٣) الكهف الآيتان : ٢٣ ، ٢٤.

وقع لفظ الربوبية في الرجاء وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا هذا من حيث الاجتزاء في كلمة (يهدين) على وجه العموم .

**أما الأسباب الخاصة التي أدت إلى حذف الياء من كلمة (يهدين ) ، فترجع إلى عدة أمور كانت سببًا رئيسًا في كتابتها دون ياء.**

**منها:** أن الهداية التي طُلبت من النبي ﷺ هداية معنوية، وليست هداية محسوسة ملموسة يتوصل بها إلى شيء مادي، (والدليل على ذلك ... قوله إِذَا نَسِيتَ والنسيان : كيفية نفسية لا صورة من صور الوجود المادي المحسوس، وكذلك الهداية بمعنى التذكر بعد النسيان أمر معنوي لا مادي محسوس ). [1]

ومن ثَمَّ لما غاب عنه ﷺ ذكرُ المشيئة غابت الياء في طلب الهداية .

ويمكن القول بأن الأشياء التي سأله المشركون عنها- أعني قصة أهل الكهف وذي القرنين- كانت بالنسبة له ﷺ أمورًا غيبية لا علم له بها، ومن هنا غابت الياء في طلب الهداية إشارة إلى ذلك.

ويبقى أمر آخر يقع من النفس موقع القطر من البلد القفر، ألا وهو أن الهداية المقصودة في الآية الكريمة هي (هداية جزئية إلى شيء نسيه ﷺ) وهو تقديم المشيئة الربانية عند الوعد بالإجابة ، ومن هنا لما كان طلب الهداية منوطًا بهداية جزئية اجتزأ الرسم القرآني الياء من كلمة (يهدين) دليلًا على ذلك.

**فإن قيل:** فلماذا جاءت الكلمة ذاتها كاملة الأحرف غير مُجْتَزَإٍ منها شيء في آية أخرى كان الحديث فيها عن نبي الله موسى - عليه السلام- وذلك في قوله تعالى :

---

(١) الجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن د/ سامح القليني ١١٣ ، ط مكتبة وهبة ، ط الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ [١].

**قيل:** إن آية القصص هذه اتفقت في القول والرجاء وطلب الهداية مع التي في الكهف، حيث قال هناك : وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ وقال هنا: قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ .

ولكن الناظر إلى آية القصص هنا يجد أن سياقها الخاص هو سياق الخوف والرهبة الذي امتلأ به صدر سيدنا موسى – عليه السلام – حين علم أن الملأ يأتمرون به ليقتلوه، ومن ثَمَّ خرج من مصر خائفًا يترقب، فارًّا بنفسه من كيد فرعون وملئِه إلى مدين، وذلك (بغير زادٍ ولا ظَهْرٍ، وبينهما مسيرةُ ثمانية أيام، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر)[٢] .

ومن هنا لم يجد ملجأ يتحصن به أو ركنًا شديدًا يأوي إليه إلا خالقه ومولاه، وربَّه الذي سَوَّاه، فما كان منه إلا أن التجأ إلى الله (بكل أحاسيسه ومشاعره التجاء كاملًا ... التجاء الخائف الوجل طالبًا منه أن يهديه سواء السبيل، ولذا أظهر الياء دلالة على كمال الالتجاء وإلقاء النفس كلها أمام خالقه) [٣]ـ سبحانه وتعالى ـ ، ومن ثَمَّ لما كانت الهداية المطلوبة هنا هداية كلية، تشمل خشية الضلال عن الطريق الموصل إلى مدين، وعدم أمنه على نفسه وهو في تلك الصحراء المخيفة، وخوفه من أن يلحقه أحدُ أتباع فرعون الذين يريدون قتله، وعدم معرفة مستقبله في أرض مدين ما يكون = أبرز النظم الكريم الضمير في (يهديني) وجاء بالكلمة كاملة غير

---

(١) القصص آية : ٢٢.

(٢) التفسير الكبير للرازي ٥٨٨/٢٤ ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط الثالثة ١٤٢٠هـ .

(٣) أسرار البيان في التعبير القرآني ـ فاضل صالح السامرائي ـ المكتبة الشاملة ـ قسم البلاغة [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]

مجتزأة، إشارة إلى كمال الهداية المطلوبة في كل ما سبق.

ومن الممكن أن يُضاف إلى ذلك فارقٌ آخر بين الآيتين، حيث إن نبيَّ الله موسى ـ عليه السلام ـ عند قوله : عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ كان في بداية الأمر ولمَّا تأته الرسالة ولمَّا يُنبأ بعدُ، ومن ثمَّ كان سؤالُه الاهتداء إلى سواء السبيل وطلب الثبات عليه ، وهذا الثبات يستلزم إثبات الياء في طلب الهداية يَهْدِيَنِي أما حاله ﷺ فقد كان في حاقِّ مهيع الهداية والنبوة ، ولكن طلبه كان للترقي فيها وليس للثبات عليها ، ومن هنا اختلف الحال فجاءت الكلمة محذوفة الياء يَهْدِيَنِ وعليه استلزم وضع كلٍّ منهما رسمًا يناسب حاله.

ولا مانع من أن يكون إخفاء الياء في آية الكهف ( وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ) إشارة إلى أن الهداية المطلوبة هنا (هداية معنوية) [١] وهي عدم النسيان في تقديم المشيئة مرة أخرى عند الوعد بالإجابة على أمر ما، والأمر المعنوي – كما هو معلوم – خفي غير ظاهر، ومن ثم ناسبه إخفاء الياء في طلب الهداية ومن هنا قال : (يهدين) ، أما الهداية المطلوبة مع نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ فكانت (هداية محسوسة) [٢] يراها موسى ويعلمها عند تحققها في الوصول إلى مدين سالمًا آمنًا، ومن هنا لما كان يطلب هداية مرئية ظاهرة أظهر الياء في طلب الهداية فقال : (يهديني) .... والله أعلم.

---

(١) المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة . أحمد عمر أبو شوفة ص ٨٠ . دار الكتب الوطنية . ليبيا . ٢٠٠٣م.

(٢) السابق ص ٨٠ .

## ثالثاً: عـدم الجـدوى من دعـوة المُصِرِّين على الكفـر :

من المعلوم أن النبي ﷺ قد استنفد جميع الوسائل في دعوة قومه إلى الله تعالى؛ لأنهم فرع نَبْعةٍ واحدة، وغصن دوحة تالدة، ومع ذلك فقد أعرضوا وصدُّوا، وعن داعي الهدى نَدُّوا، فأراد الحق سبحانه أن يُبين لنبيه ﷺ أن لا لوم عليه ولا عتاب في عدم إيمانهم، بعد ما بذل كلَّ ما في وُسعه لدعوتهم إلى الله تعالى فقال له : فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ المَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِ العُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ (١) .

والملاحظ أن كلمة (هاد) جاءت في سياق الآية دون ياء، وعليه لا بد أن يكون لهذا الحذف من علة مقبولة.

والناظر إلى الآية يجدها في أواخر سورة الروم، وسورة الروم -كما هو معلوم- مكية، وكونها مكية يتبعه أن المخاطبين بما فيها داخل حدود مكة، حيث كانت الدعوة لم تزل في بدايتها، ولم تتجاوز حدودها إلا بشكل قليل، والمخاطبون بالدعوة في مكة عرب، وما قبل الآية يبين أن الرسول ﷺ لم يكن بدعًا من الرسل في دعوة قومه، بل طريقه هذا هو طريق الرسل من قبله، وفي ذلك يقول سبحانه: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ (٢) .

وحيث إن الآية تتحدث عن قومه من أهل مكة، وقومه هم العرب، فلذلك لم يكن هناك بدٌّ من حذف الياء من كلمة (هاد) ، لماذا؟ لأن نفي الهداية هنا مخصوص بفئة معينة . وهم قومه ﷺ وهذه الفئة لم تثبت على كفرها جملة واحدة، بل دخل

---

(١) سورة الروم : ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) الروم آية : ٤٧ .

أكثرهم في الإسلام فيما بعد، وخلعوا ربقة الكفر من أعناقهم، وهوت قلوبهم وأرواحهم إلى دين الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وعليه لما كان نفي الهداية عن قوم مخصوصين تغيرت أحوال أكثرهم من الكفر إلى الإيمان، لم يكن نفي الهداية عنهم كاملًا في رسم الكلمة، إشارة إلى أن نفي الهداية لم يدم في حقهم طويلًا، بل دخل أكثرهم في الإسلام بعد ذلك.

**فإن قيل:** فلماذا جاءت الكلمة ذاتها كاملة الأحرف – دون حذف شيء منها– في آية سورة النمل التي تقول :

إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ المَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي العُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ [(١)].

**قيل:** حقا إن الآيتين تتطابقان في كل الألفاظ إلا في حرف الفاء الذي تصدر آية الروم (فإنك) ولكن الناظر إلى سياق آية النمل يجده قد تعلق بالحديث عن بني إسرائيل، وهم اليهود الذين سكنوا المدينة، وجاوروا رسول الله ﷺ فيها ولم يؤمنوا به فيما بعد كما فعل أهل مكة، وفي ذلك يقول سبحانه :

( إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ* إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ العَزِيزُ العَلِيمُ * فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الحَقِّ المُبِينِ * إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ المَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي العُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ) [(٢)] .

---

(١) سورة النمل الآيتان : ٨٠ ، ٨١ .

(٢) سورة النمل الآيات : ٧٦ ـ ٨١.

ومن هنا لما كان الحديث عن اليهود الذين جابهوا داعي الله بالكفر والعناد، والصدِّ وعدم الانقياد، بحيث كانت الكثرة الكاثرة منهم كافرة، وعن دعوة الله نافرة رافضة = جاء نفي الهداية عنهم كاملًا فقال سبحانه : وَمَا أَنْتَ بِهَادِي العُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إشارة إلى أن أكثرهم عن الدعوة محجوبون، ومن رحمته سبحانه مطرودون.

**ومما سبق يمكن القول بأن قوله :**

( وَمَا أَنْتَ بِهَادِ العُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ ) تختص بالعرب من قوم سيدنا محمد ﷺ وحُذفت الياء لأن نفي الهداية ليس كاملًا ، حيث إنَّ جُلَّهم قد اهتدوا وآمنوا، وقوله: وَمَا أَنْتَ بِهَادِي العُمْيِ تختص باليهود، وأُثبتت الياء لأن نفي الهداية عنهم كان كاملًا)[1] .... والله أعلم.

## رابعاً: تشريك الأتباع في الوصف :

وذلك حين جاء وفد بني نجران إلى رسول الله ﷺ يحاجُّونه في تبرير ما هم عليه من الدِّيْن، وأنهم ليسوا على أقل مما جاء به دين الإسلام، فلقَّن الله – سبحانه – رسوله ﷺ أن يجيب مجادلتهم هذه بقوله: فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ [2] وكأنه يقول لهم : لا ألتفتُ إلى عبادة غيره مثلكم، لأن ديني هو الدين الحق وما أنتم عليه ليس دينًا عند الله تعالى. [3]

واللافت للنظر هنا أن النظم الكريم عبر عن انقياد الأتباع في هذه الحالة بقوله وَمَنِ اتَّبَعَنِ وأصلها : اتبعني، ولكن الرسم القرآني هنا جاء بها في سياق الآية

---

(١) عجائب القرآن . زياد السلوادي . ٢١

(٢) آل عمران آية : ٢٠ .

(٣) التحرير والتنوير ٣/٢٠٠ : ٢٠٢ بتصرف.

من دون ياء، ولعلَّ السرَّ وراء ذلك يكمن في أن الاتِّباع هنا خاص بالاتباع القائم على العلم والمعرفة، وانقياد الجوارح له – جلَّ في علاه – لأن المحاجة لا تكون من عامة الناس ودهمائهم، وإنما تُناط بأصحاب القدم الراسخة من أهل الكتاب، الذين يُعتقد فيهم أنهم أهل لمواجهة من يدعي النبوة –كما يظنون – ومن ثَمَّ حُذفت الياء من قوله: وَمَنِ اتَّبَعَنِ إشارة إلى أنَّ الاتباع القائم على العلم والمعرفة أقلُ بكثير من الاتباع القائم على الإيمان الذي وقر في القلوب، حيث إن ساحة الإيمان أرحب أفقًا من ساحة العلم، ومن هنا دل الاجتزاء بالكسرة عن الياء في قوله: وَمَنِ اتَّبَعَنِ على قلة الاتباع ـ نسبيًا ـ من هذا النوع.

وليس ما سبق من أن الاتباع المقصود في الآية مراد به الاتباع العلمي مقطوع الصلة عما دبَّجه قلمُ العلامة الزركشي في البرهان، بل هو مأخوذ منه، مبنيٌّ على أساسه، حيث يقول ـ رحمه الله ـ في هذه الآية : (هو الاتباع العلمي في دين الله بالجوارح المقصود بها وجه الله وطاعته) . [١]

**فإن قيل:** إنْ صحَّ أن الاتِّباع في آية آل عمران السابقة مراد به الاتباع العلمي ومن هنا حذفت الياء من (اتبعن) دليلًا على قلة الاتباع من هذا النوع = فلم بقيت الياء في الكلمة ذاتها ولم تحذف في آية سورة يوسف التي تقول :

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [٢] .

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٤٠٠ تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي ـ بيروت ـ ط / الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧ .

(٢) يوسف آية : ١٠٣.

**قيل في الجواب عن ذلك:** إن السياق السابق لهذه الآية يدل على أن أكثر الناس – ولو حرص الرسول ﷺ على إيمانهم – ليسوا بمؤمنين، وذلك في قوله تعالى : وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ [1] وليت الأمر وقف عند عدم الإيمان وانتهى، بل تعداه إلى أنهم يمرون على آيات الله الكونية التي يَبُثُّها الله في تضاعيف أرضه وسمائه لتكون دليلًا دامغًا على ألوهيته ، وآية بيِّنة على وحدانيته، فلا تجدُ منهم إلا كلَّ إعراض، ولا تَرى منهم إلا كلَّ نفور، بدليل قوله تعالى : وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ [2] .

**ومن هنا أراد النظم أن يقول:** إذا كان هؤلاء في معزل عن الإيمان، وبُعدٍ عن ساحة الرضوان، فإن هناك جهة أخرى تؤمن بالله حق الإيمان، وتعترف بألوهيته دون شك أو كُفران، وتلك هي طائفة النبي ﷺ ومن معه ممن اتبعه من المسلمين، وفي ذلك يقول سبحانه : قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فالدعوة إلى الله على بصيرة ملازمة للنبي ﷺ ومقترنة كذلك بأتباعه والسالكين سبيله، لأنها دعوة إلى الله، والدعوة إلى الله تعالى إذا كانت على بصيرة لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا [3] بل الكل منقاد مستسلم له ـ سبحانه ـ بحيث لا يَنِدُ عن سبيلها أحد ، ولا يحيد عن طريقها ذو لُبٍّ، ومن هنا ثبتت الياء في قوله: وَمَنِ اتَّبَعَنِي دلالة على كثرة المُتّبعين له ﷺ في هذه السبيل، لأنها دعوة على بصيرة، ومن ثَمَّ خُتمت الآية بقوله: وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ نفيًا للشرك عنه وعن أتباعه الداخلين دينه على بصيرة من أمرهم .

---

(١) يوسف آية : ١٠٥.

(٢) يوسف آية : ١٠٨ .

(٣) طه آية : ١٠٧ .

ومن الممكن أن يُضاف إلى ما مضى لمحة أخرى تبين سبب حذف الياء من كلمة اتَّبَعَنِ في آية آل عمران ، وإثباتها في اتَّبَعَنِي في آية يوسف، وتكمن هذه اللمحة في الفرق بين أتباعه ﷺ في حياته ، وهم الصحابة رضوان الله عليهم ، وبين أتباعه على وجه العموم والشمول....فالأتباع الأُول – وهم الصحابة – لهم خاصية المسارعة في كل ما يدعوهم إليه ﷺ ثم خصوصية حصر هذا الأمر فيهم ،ومن ثَمَّ جاءت هذه الخصوصية في مباهلة وفد بني نجران فقال: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ فها هنا سرعة الاستسلام والانقياد منه ﷺ ومن صحابته له جلَّ في علاه ،ولأجل هذه المسارعة حذفت الياء من كلمة اتَّبَعَنِ بخلاف سياق الموضع الثاني في سورة يوسف، فهو في الدعوة إلى الله منه ﷺ ومن كلِّ مُتبعٍ له – عليه الصلاة والسلام – ومن ثمَّ أراد بإثبات الياء الاستقراء والشمول لكل من اتبعه وسار على نهج دعوته إلى يوم القيامة ،ومن هنا فقال : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ ... والله أعلم .

## خامساً : سياق الأمر بالاتباع :

وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ * وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [1] لأنه (لما قرأ رسول الله ﷺ على قريش ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [2] امتعضوا من ذلك

(١) الزخرف الآيات : ٥٧ . ٦١ .

(٢) الأنبياء آية : ٩٨ .

امتعاضًا شديدًا، فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى : يا محمد، أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ : هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم ، فقال: خصمتُك وربّ الكعبة، ألستَ تزعم أن عيسى بن مريم نبي تُثني عليه خيرًا وعلى أُمِّه، وقد علمتَ أن النصارى يعبدونهما، وعزير يُعبد، والملائكة يُعبدون، فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، ففرحوا وضحكوا ، فأنزل الله إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) [1] [2] .

والملاحظ أن فعل الأمر وَاتَّبِعُونِ في الآيات السابقة جاء خاليًا من ياء المتكلم التي اجتزأ النظم عنها بالكسرة، ولعل السر في ذلك يكمن في أن الآيات خاصة بأهل مكة، المُعَبَّر عنهم بقول الحق: إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ، فقومه ﷺ الذين صاحوا وفرحوا بحجة ابن الزِّبَعْرَى ليسوا إلا طائفة قليلة من أمة الدعوة التي أُرسل إليها ﷺ حيث أرسل ﷺ إلى العرب والعجم والإنس والجن، وعليه فقومه ﷺ جزء قليل بالنسبة لباقي الأمم، ومِنْ ثَمَّ لما كان المُتَحدَّث عنهم جزءًا قليلًا من أمة الدعوة ناسب ذلك أن يجتزئ النظم بالكسرة عن الياء في فعل الأمر المُوجه إليهم؛ ليجيء خاليًا من الياء فقال: وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ إشارة إلى أنَّ الاتباع في الآية هو اتباعٌ جزئي خاص بعدد قليل من أمة الدعوة وليس اتباعًا عامًا كاملًا شاملًا من كل الأمة.

**فإن قيل** : فلماذا جاءت الكلمة ذاتها في سياق آخر تامة الأحرف من دون أن يكون هناك اجتزاء بالكسرة عن الياء فيها ، وذلك واضح جليٌ في قوله تعالى على لسان نبيه ﷺ : قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ

---

(١) الأنبياء آية : ١٠١ .

(٢) الكشاف للزمخشري ٤/٢٥٩ . دار الكتاب العربي . بيروت . ط الثالثة ١٤٠٧هـ .

غَفُورٌ رَّحِيمٌ [١] ففعل الأمر هنا جاء تام الأحرف من دون أن يكون فيه حذف للياء كما في الفعل السابق وَاتَّبِعُونِ ولعل ذلك راجع إلى سياق آيات آل عمران التي ورد فيها هذا الأمر، حيث تتحدث عن عموم المؤمنين والكافرين في كل زمان ومكان، حيث يقول سبحانه:

لاَ يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ المَصِيرُ * قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ * قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [٢] .

فانظر إلى القضايا الكلية التي اشتملت عليها هذه الآيات، فقوله ( لاَ يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ عام يشمل جميع المؤمنين في كل زمان ومكان، وليس خاصًا بمؤمني مكة أو المدينة، وقوله الكَافِرِينَ يشمل كذلك كل مَنْ كفر وخرج عن دائرة الإيمان في جميع الأصقاع والأزمان، ثم انظر إلى التحذير المُوجَّه إلى كلِّ مَنْ خالف ذلك وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ثم انظر إلى الكلية التي يضمها قوله: إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ تراها ليست خاصة بطائفة معينة، وإنما هو خطاب للجميع، المؤمن والكافر، ومن ثَمَّ ذَيَّل النظم الآية بكُلية العلم بما في السموات والأرض فقال: وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ثم بقدرته سبحانه وتعالى على كل شيء فقال : وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثم تتابُع الآيات عن الحديث الكلي الشامل عن كل نفس

---

(١) آل عمران آية : ٣١.

(٢) سورة آل عمران الآيات ٢٨ : ٣١ .

فتقول: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ .

إذن هذه قضايا كلية ليس المقصود في الخطاب بها طائفة دون أخرى، وعليه لما كان الأمر كذلك جاءت آية الشاهد التي معنا مقتفية أثر هذه الكلية، ناسجة على منوالها مخاطبة الكل بقولها: إِن كُنتُمْ ... والخطاب هنا للجميع ، وليس لأحد دون آخر تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي اتباعًا كليًا، ليس في شيء دون آخر، ولا في أمر دون سواه، ومن ثَمَّ خُتمت الآية ببيان ثواب هذا الاتباع الكامل بقوله : ( يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) وعليه لمَّا كان المراد من الاتباع هنا اتباعًا كليًا كاملًا – ليس في أمر دون آخر– جاء الفعل كاملًا غير مجتزأ منه شيء، إشارة إلى كمال الاتباع المطلوب.

**ومن تمام الفائدة يقال:** هناك فرق بين الأمر بالاتباع في وقت الضيق والشدة ، وهو ما يستلزم المسارعة في اتباع الآمِر؛ لأن الوقت ينفد ولا يقبل الانتظار، وهو ما كان في موضع الزخرف وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ومن ثَمَّ ليس هناك وقت للتردد في قبول دعوته واتباعه ﷺ بخلاف موضع آل عمران فهو في السعة وفي التدرج في المحبة، بما يستلزم التدرج في الاتباع والترقي فيه تبعًا للترقي في المحبة...ومن هنا قال: إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وهذا بخلاف موضع الزخرف فهو في الأمر بابتداء الاتباع وليس الترقي فيه ، بما يستلزم المسارعة والاستجابة ، فضلا عن دلالة الحال على ضيق الوقت الداعي إلى نبذ التراخي في اتباعه ﷺ.... والله أعلم.

## سادساً: الإيمان بالله وبجميع صفاته :

وذلك في قوله تعالى : كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَإِلَيْهِ مَتَابِ [١] وقد قيل في سبب نزول هذه الآية : (إنَّ أبا جهل سمع النبي ﷺ وهو في الحِجْر يدعو الله: يا رحمن، فرجع إلى المشركين، وقال: إن محمدًا يدعو إلهين: يدعو الله ويدعو إلهًا آخر يسمى الرحمن، ولا نعرف إلا رحمن اليمامة – يعني مسيلمة – فنزلت هذه الآية ). [٢] وموضع الشاهد في هذه الآية هو قوله تعالى :

وَإِلَيْهِ مَتَابِ ومعنى (متاب) أي: توبتي وإنابتي إليه جلَّ في علاه[٣] والأصل : متابي، ولكن النظم الكريم اجتزأ بالكسرة عن الياء فقال: وَإِلَيْهِ مَتَابِ ولعل ذلك راجع إلى أمرين:

**الأول:** أن الخطاب مُوجه إلى المشركين المنكرين لكون الرحمن إلهًا يعبده النبي ﷺ ومن هنا أُمر أن يقول لهم : هُوَ رَبِّي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ وقوله: عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ حديث عنه وحده ﷺ يريد من ورائه أن يقول لهم: بأنني لا أستطيع أن أكفر به كما كفرتم؛ لأنه ربي الذي خلقني وصورني فأحسن تصويري ، ثم إنَّ توكلي وركوني لا يكون إلا إليه، وكذلك توبتي ورجوعي لا يكون لأحد سواه، ومن ثَمَّ لمَّا كان الحديث عن أمر جزئي خاص به وحده ﷺ وهو توبته وأوبته إليه جلَّ في علاه = اجتزأ النظم الكريم بالكسرة عن الياء فقال: وَإِلَيْهِ مَتَابِ ولم يقل: (متابي)؛ حتى لا يكون أمر التوبة خاصًا به وحده ﷺ وإنما ليُعْلمهم من طرفٍ خفي أن باب التوبة والرجوع إليه – سبحانه – مفتوح أمامهم، حتى وإن امتطوا صهوة الشطط، وركبوا متن العناد.

---

(١) الرعد آية : ٣٠ .

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ( ت ٧٧٥ هـ) ٣٠٤/١١ تح/ عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض . دار الكتب العلمية . بيروت . ط الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ١٤٢/١٣.

**والأمر الآخر:** هو أن قوله ﷻ وَإِلَيْهِ مَتَابِ حديث عن توبة النفس، وتوبة النفس والرجوع بها إلى ساحة العفو والغفران أمر غيبي لا يعلمه عن الْمَرْءِ سوى نفسه التي بين جنْبَيْه، لأن الشخص من الممكن أن يدعي التوبة ويتظاهر بالصلاح أمام أعين الناس، في باحات لقائهم وأماكن وجودهم، ثم هو يفعل ما يحلو له في خلواته، ويدنس نفسه بقبيح ملذاته، ومن هنا لمَّا كان أمر التوبة أمرًا غيبيًا لا يَطَّلع عليه الناس، غابت الياء في الحديث عنها إشارة إلى ذلك فقيل : وَإِلَيْهِ مَتَابِ .

وما مضى من تعليل حذف الياء من كلمة مَتَابِ في آية الرعد، أراه ينسحب على كلمة ( مَنَابِ ) في قوله تعالى : وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلُ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَنَابِ [1] ويحذوه حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة ، ويماثله تماثل الصورة في المرآة، حيث إن قوله: وَإِلَيْهِ مَنَابِ بمعنى : (إليه مرجعي بالبعث لا إلى غيره) [2] . ـ سبحانه وتعالى ـ ، وأصلها: وإليه مآبي، وقد حذفت الياء هنا؛ لأن سياق الحديث فيه متعلق بأمر جزئي خاص به ﷻ ألا وهو رجوعه إلى الله وحده يوم القيامة ، ومن ثَمَّ لمَّا كان الحديث عن أمر جزئي واحد من جملة ما يتعلق به ﷻ اجتزأ النظم الكريم بالكسرة عن الياء في ذلك فقال : وَإِلَيْهِ مَنَابِ ، وتلك هي العلة الأولى، أما العلة الآخرة ؛ فلأن أمر الرجوع إلى الله – تعالى – أمر غيبي ، آمن به أهل الإيمان، وأنكره أهل الجحود والكفران، وعليه لمَّا كان أمر الرجوع إليه– سبحانه – أمرًا غيبيًا غابت الياء في ذكر الرجوع إليه – جل في علاه – إشارة إلى ذلك ، ومن ثم قيل: وَإِلَيْهِ مَنَابِ ... والله أعلم.

---

(١) الرعد آية : ٣٦ .

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة الفاسي ٣٣/٣ . تح/ أحمد عبد الله القرشي رسلان . الناشر / د: حسن عباس زكي . القاهرة . ط / ١٤١٩هـ.

**سابعاً: مفارقة الكفر إلى دين التوحيد:**

**وذلك جِدٌّ جَليٌّ وواضحٌ غيرُ خَفيٍّ على كل رامقٍ بعينيه قولَه تعالى:**

**( قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ) [١] حيث أمر الحق- سبحانه وتعالى - نبيه ﷺ أن يُبين لهؤلاء المشركين أنه لن يعبد في يوم من الأيام ما يعبدون من الأوثان والأصنام، التي اتخذوها - زورًا وبهتانًا - أربابًا من دون الله، كما أنهم لفرط كفرهم وجحودهم لن يعبدوا ما هو عابد ﷺ ، ومن ثَمَّ قال لهم : فإن لكم ما ارتضيتم من الدين المزعوم، ولي ما وهبني ربي من الدين القويم.**

**ومحل النظر في هذه السورة الكريمة - تبعًا للمُتحدَّث عنه هنا - هو كلمة (دين) التي في قوله : لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ  حيث أضاف النظم دين الكافرين إليهم فقال : لَكُمْ دِينُكُمْ بينما جرد دينه ﷺ من الإضافة ، فقال : (وَلِيَ دِينِ) بحذف ياء المتكلم والاجتزاء بالكسرة عن الياء فيها، ولعلَّ السر في إضافة الدين لهم دِينُكُمْ ليُعلمهم أن ملة الكفر ملة معروفة، وأن ما يدعونه دينًا إنما هو خاص بهم، ولا يصلح لغيرهم من أهل الإيمان، وذلك لأنهم مَنْ اخترعوه لأنفسهم وخَضَّعوا ذواتهم وعقولهم لِمَا يُمليه عليهم شياطينهم فيه، أما بالنسبة له ﷺ فقد حذف الإضافة في الحديث عن دينه، فقال : (وَلِيَ دِينِ) للإشارة (إلى عدم خصوصية هذا الدين به وحده ﷺ بل هو دين الأنبياء جميعهم، وليس بدعًا من عنده أو تأليفًا منه). [٢]**

---

**(١) سورة الكافرون كاملة.**

**(٢) الجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن د/ سامح القليني ص ١٩٠.**

ومن ثَمَّ كان حذف الياء لِيُبين أن الإسلام دين لكل من يؤمن بالله إلى يوم القيامة، وليس خاصًا به وحده ﷺ فباب الإسلام مفتوح لكل قادم بعقيدة صادقة وإيمان راسخ، ولا يُغلق في وجه أحد حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

**فإن قيل:** فلماذا ثبتت الياء في ذات الكلمة في قوله تعالى: قُلِ اللَّـهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي [١] ؟ قيل: إن ذلك راجع إلى عدة أمور هي:

**أولًا:** إن الكلام على الدين جاء في سورة الزمر أكثر مما جاء في سورة الكافرون حيث يقول سبحانه:( فَاعْبُدِ اللَّـهَ مُخْلِصًا لَّـهُ الدِّينَ ) [٢]، أَلَا لِلَّـهِ الدِّينُ الخَالِصُ [٣] ، قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ [٤]، قُلِ اللَّـهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي [٥]، كما اشتملت كذلك على آيات خاصة بالإسلام والمسلمين، حيث يقول سبحانه: وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المُسْلِمِينَ [٦] أَفَمَن شَرَحَ اللَّـهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّـهِ ... [٧] ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَـهُ ... [٨] بينما الكلام عن الدين في سورة الكافرون جاء في آية واحدة فقط، هي نهايتها حيث يقول سبحانه: ( لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) .

---

(١) الزمر آية : ١٤.
(٢) الزمر آية : ٢ .
(٣) الزمر آية : ٣.
(٤) الزمر آية : ١١.
(٥) الزمر آية : ١٤.
(٦) الزمر آية : ١٢.
(٧) الزمر آية : ٢٢.
(٨) الزمر آية : ٥٤ .

إذن جَوُّ سورة الزمر والكلام فيها عن الدين أكثر وأطول مما ورد في سورة الكافرون، ومن ثَمَّ ناسب أن تُذكر كلمة (ديني) الكثيرة الأحرف في ( الزمر ) دون أن يكون ذلك في (الكافرون).

**ثانيًا:** تأتي السمة التعبيرية لضمائر المتكلم في السورتين، حيث إن ضمائر المتكلم المتعلقة بالدين في سورة الزمر أكثر مما ورد في سورة (الكافرون) ، من ذلك: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ [١]، وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المُسْلِمِينَ [٢]، قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [٣] ، قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي [٤] ، فانظر إلى كثرة الضمائر في هذه الآيات، بينما لا تجد مثل ذلك في سورة (الكافرون)، وعليه لمَّا كثُر ضمير المتكلم في سورة الزمر ذُكرت الياء في كلمة (ديني) من هذا الباب، وحذفت في سورة (الكافرون) لقلة ضمائر المتكلم فيها.

**ثالثًا:** جاء في سورة الزمر إثبات الأمر بالعبادة كما في قوله : فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ [٥]، قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ [٦] ، وقوله وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المُسْلِمِينَ [٧]، وقوله وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ... [٨] بينما في سورة (الكافرون) حديث عن ترك العبادة حيث يقول: لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنتُمْ

---

(١) الزمر آية : ١١.
(٢) الزمر آية : ١٢.
(٣) الزمر آية : ١٣.
(٤) الزمر آية : ١٤.
(٥) الزمر آية : ٢ .
(٦) الزمر آية : ١١.
(٧) الزمر آية : ١٢.
(٨) الزمر آية : ٥٤ .

عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ [1] ومن ثَمَّ لمّا كان في سورة الزمر إثبات لأمر العبادة أثبت النظم الياء في كلمة (ديني) فقال : قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ولما كان في سورة (الكافرون) حديث عن ترك العبادة ترك النظم ذكر الياء فقال : ( لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [2] .....والله أعلم.

## ثامناً: تحقق رجاء العبد في ربه

وتلك هي آخر مراتب الهداية التي خُوطب بها ﷺ حيث يقول له سبحانه : وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ [3] ومحل الشاهد في هذه الآية الكريمة كلمتا (الداع ـ دعان) في قوله: أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ وأصلهما : الداعي، ودعاني، والمتأمل في نظم الآية الكريمة يجد أن الحق ـ سبحانه ـ غاير فيها كل ما جاء على شاكلتها من الآيات المتصدرة بالسؤال عن شيء ما ، كما في قوله تعالى:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العَفْوَ [4]، وقوله وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ [5] ، وقوله: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي [1]...

---

(١) سورة الكافرون الآيات ٢ : ٥ .

(٢) ينظر: (أولًا، وثانيًا ، وثالثا) مقال على صفحة الإنترنت للدكتور/ فاضل صالح السامرائي تحت عنوان (ما دلالة اختلاف الفاصلة القرآنية بين قوله (لكم دينكم ولي دين) وبين قوله (قل الله أعبد مخلصا له ديني) ؟.

(٣) البقرة آية : ١٨٦.

(٤) البقرة آية : ٢١٩.

(٥) البقرة آية : ٢٢٠ .

إلخ الآيات التي تصدرت بالسؤال وكانت الإجابة بـ (قل) ، إلا في الآية التي معنا، حيث لم يجعل الله بينه وبين عباده واسطة، حتى ولو كان ذلك متمثلًا في ذات رسول الله ﷺ ؛وما ذاك إلا لِيُنَبّه إلى أنه ما على العبد إلا الدعاء ورفع الأكف بالضراعة فقط، وعندها سيجد عطاءات الله عليه تترى، وفيوضات الحق عليه تُنْثر نثرًا، وفي ذلك من الدلالة على قربه سبحانه من عباده ما فيه، وكيف لا ؟ وقد قدَّم جواب الشرط على الشرط ذاته فقال: أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، ومن ثَمَّ كان حذف الياء من الكلمتين : (الداع) و (دعان) للدلالة على (القرب الذي وصف الله به نفسه . فإني قريب ، وهو قرب علم وإحاطة وإنعام وتدبير لا قرب مكان ومجاورة ... وقد تولد عن تلك الكناية اللطيفة – دلالة الحذف على القرب – لطائف أخرى مثل: لطيفة سرعة سماع الدعاء لقرب المدعو، ولطيفة سرعة الإجابة إذا كان الداعي من أهل القبول). (٢)

ولعل ما سبق من بيان علة الحذف مؤسس على ما ذكره الزمخشري– رحمه الله– عندما تعرض لهذه الآية بالشرح فقال: (فإني قريب : تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة مَنْ سأله بحال من قرب مكانه، فإذا دعي أسرعتُ تلبيتَه). (٣)

**ومن الممكن أن يضاف إلى ما سبق:** أن الآية تتحدث عن داع واحد يدعو الحق سبحانه بدعوة واحدة في وقت واحد، وليس بمتصور أن يدعو الناس جميعًا الحق سبحانه بدعوات مجتمعة في وقت واحد، وإنما دعوات متفرقة لأناس متفرقين في أوقات متفرقة، ومن هنا فالسياق عن واحد أو مجموعة من الخلق تدعوا ، وعليه

---

←←←

(١) الإسراء آية : ٨٥.

(٢) لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثماني د/ عبد العظيم المطعني ٣٩/٢.

(٣) الكشاف للزمخشري ٢٢٨/١.

فالسياق جزئي وليس كليًا يشمل جميع الناس في وقت واحد، ومن ثَمَّ لمَّا كان الكلام عن أمر جزئي ، اجتزأ النظم الياء من الكلمتين وعوض عنها بالكسرة دليلًا عليها.

**فإن قيل:** فلماذا ثبتت الياء في ذات الكلمة – أعني الداعي– في قوله تعالى : يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا [(١)] وقوله : يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ [(٢)] .

**قيل:** إن المدعوين في سورة (طه) ـ أعني: الذين يتبعون الداعي ، هم الناس جميعًا بعد بعثهم إلى الحساب حيث تخشع جميع الأصوات إلى الرحمن فلا تسمع إلا همسًا، ومن ثَمَّ لما كان الكلام عن أمر كلي جاءت الكلمة بكليتها دون أن يحذف منها شيء (الداعي)؛ لأن السياق سياق كلي جامع، وفي سورة الأحقاف جاء الكلام على لسان الجن الذين استمعوا إلى القرآن ثم وَلَّوا إلى قومهم منذرين فقالوا : يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ، وداعي الله هنا هو رسول الله ﷺ وقد أرسله الله إلى الإنس والجن ليدعوهم إليه سبحانه ، وعليه لما كان السياق في الحديث عن الدعوة بكليتها جاءت الكلمة كاملة دون حذف إشارة إلى ذلك فقيل: أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ [(٣)].. والله أعلم.

---

(١) طه آية : ١٠٨.

(٢) الأحقاف الآيتان : ٣١ ، ٣٢.

(٣) عجائب القرآن ـ زياد السلوادي ٣٥ بتصرف.

## المبحث الثاني

## بلاغة الاجتزاء بالكسرة عن الياء في لفظ الربوبية

الناظر في آيات الذكر الحكيم، والمقلب بصره بين دفتي النور المبين، يتبين له أن هناك عشر آيات جاء فيها لفظ الربوبية (رب) مضافًا إلى ضمير الحق سبحانه وتعالى، وقد نابت فيه الكسرة عن الياء في الآيات المخاطب بها النبي ﷺ ، وقد تعددت السياقات الخاصة التي ورد فيها هذا اللفظ فكانت على النحو الآتي:

**أولًا: تفويض الأمر إليه سبحانه والرضا بما يختار:**

وذلك في قوله تعالى: وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا [(١)] .

وقد جاءت هذه الآية في سياق إيذاء قريش للنبي ﷺ وكيدهم له وسعيهم في إخراجه من مكة، وطردهم إياه منها، حيث سبقها قوله تعالى: وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا* وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلًا ثم قال له : وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ومن هنا قيل: إن المراد بقوله: أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ (إدخال المدينة) [(٢)] والمراد بقوله: وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ (الإخراج من مكة) [(٣)]

---

(١) الإسراء آية : ٨٠ .

(٢) روح المعاني للآلوسي ١٣٧/٨ تح/ علي عبد الباري عطية . دار الكتب العلمية . بيروت . ط الأولى ١٤١٥هـ .

(٣) روح المعاني للآلوسي ١٣٧/٨.

ويؤيد هذا المعنى السابق ما رواه الترمذي (عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ بمكة ثم أُمر بالهجرة فنزلت عليه وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا )[1] وقد قُدم دخول المدينة على الإخراج من مكة لأن (مكان الدخول والقرار هو الأهم). [2]

والكلمة محل الشاهد في الآية هي كلمة (رب) التي اجتزأ النظم الكريم فيها بالكسرة عن الياء، وما ذاك إلا دلالة على سرعة الامتثال وسهولة الانقياد لأمر الحق سبحانه إياه بالدعاء في اختيار المخرج الصدق والمدخل الصدق وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا .

وفي ذلك إشارة إلى سلاسة تسليمه وكمال خضوعه ومسارعته ﷺ لما يأمره به ربه من الدعاء دون تردد أو تفكير في المأمور به، حتى يفرغ لما أُمر به بأقل لفظٍ وأوجز عبارة.

## ثانياً: طلب المزيد من العلم :

وذلك في قوله تعالى: فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا [3]

حيث (كان النبي ﷺ يبادر جبريل عليه السلام . فيقرأ قبل أن يفرغ حرصًا على الحفظ وخشية النسيان فأنزل الله: فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن

---

(١) سنن الترمذي ٣٠٤/٥ تح / إبراهيم عطوة عوض . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر . ط الثانية . ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٤٧٩/٣ تح/ عبد السلام عبد الشافي محمد . دار الكتب العلمية . بيروت . ط الأولى ١٤٢٢هـ.

(٣) سورة طه آية : ١١٤.

يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) [١] ثم أمره بطلب الزيادة من العلم؛ لكونها زيادة محمودة ، وجامعة لكل خير فقال: وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا .

والكلمة محل الشاهد هنا هي كلمة (رب) التي حُذفت منها ياء المتكلم وعُوِّض عنها بالكسرة، ولعل السرَّ في ذلك هو بيان حالة القرب الكائن بين رسول الله ﷺ وربه ـ جل في علاه ـ ودليل على عدم الوسائط بين الله وحبيبه ﷺ وأنه حاضر معه قريب إليه بحيث لا يفصل بينهما شيء حتى ولو كانت الياء التي هي ضمير التكلم ؛ لأن منزلته ﷺ من ربه أسمى من أن يفصلها شيء عنه سبحانه ، حتى ولو كان حرفًا في نطق الكلمة.

## ثالثاً: الشكوى من قومه ﷺ وتكذيبهم إياه :

**وذلك واضح بيِّنٌ في قوله تعالى :**

١- قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ [٢] .

٢- وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا [٣] .

٣- وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ . [٤]

والذي يراجع سياق الآيات الثلاث يَبِيْنُ له أن الشكوى فيها تختص بالتكذيب والافتراء بالباطل عليه ﷺ مع هجر القرآن وصدِّهم عما جاء به إليهم، وعدم استجابتهم إلى دعوته ﷺ .

---

(١) التحرير والتنوير ٣١٧/١٧.

(٢) الأنبياء آية : ١١٢.

(٣) الفرقان آية : ٣٩ .

(٤) الزخرف آية : ٨٨ .

وموضع الشاهد في هذه الآيات الثلاث هي كلمة (رب) المحذوفة الياء، المُسْتَعاض عنها بالكسرة ، وقد جاء لفظ الربوبية فيها خاليًا من الياء؛ إشارة إلى سرعة الْتِجائه ﷺ إلى ربه، والمبادرة إلى الركون إليه، والرغبة العاجلة في الاعتماد عليه فيما آل إليه أمر قومه، وتفويض ذلك إليه – سبحانه – حتى إنه في آية الأنبياء التي طلب فيها الفصل بينه وبين هؤلاء المعاندين الضالين بقوله : رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ تراه قد ذيلها بقوله : وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ أي: (من الشرك والكفر وما تعارضون به دعوتي من الأباطيل والتكذيب) [1] ،وكأنه ﷺ قد أعذر بذلك إلى خالقه ومولاه في تبليغ ما أمره به إليهم، ووضع عن عاتقه مسئولية عدم إيمانهم وهدايتهم ، لكونه قد استنفذ معهم كل طاقة تصل بهم إلى ساحة الإيمان، واستفرغ كل مجهود يقودهم إلى رضا الرحمن، ولكن كلُّ ذلك لم يُجْدِ معهم نفعًا، ولم يَلْق منهم سمعًا، لأن أمر الهداية ودخولها في قلوب هؤلاء ليس من شأنه ﷺ وإنما هي بيد الله سبحانه القائل لنبيه: (إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ) [2] .

**والقائل له :** فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا البَلاغُ [3] .

**ومن تمام الفائدة يُقال:** إنما خالف النظم عادته في نداء كلمة (رب) وأورد معها حرف النداء (الياء) في آيتي الفرقان والزخرف فقال: وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القُرْآنَ مَهْجُورًا [4] ، وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ [5] ؛ ليعبر المدُّ الموجود في (يا) النداء عن مدِّ صوته ﷺ إلى خالقه بشكواه من هؤلاء؛ ليُفرغ في

---

(١) التفسير الكبير للرازي ١٩٦/٢٢.

(٢) القصص آية : ٥٦.

(٣) الشورى آية : ٤٨ .

(٤) الفرقان آية : ٣٩ .

(٥) الزخرف آية : ٨٨ .

هذا المد حسرته على عدم استجابة قومه إليه، وندمه على تفريطهم فيما ساقه الله إليهم من الهدى والرشاد على يديه ﷺ (ولكنهم قوم لا يعلمون).

ولما شكا ﷺ قومه إلى ربه ودعا أن يفصل بينه وبينهم هداه الله إلى دعوة أخرى تخرجه من هؤلاء إنْ حلَّ بهم أمر الله تعالى ، ومن ثَمَّ قال ﷺ : رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلاَ تَجْعَلْنِي فِي القَوْمِ الظَّالِمِينَ [١] (ومعلوم أنه ﷺ في منجاة من أن يكون مع القوم الظالمين، حين يحل بهم ما أراده ربهم، ولكن ذلك تعليم له من ربه ﷺ كيف يتواضع ويهضم نفسه، وتعليم لمَنْ بعده من أمته ألا يأمنوا مكر الله جلَّ في علاه).[٢]

وقد حذف النظم الكريم ياء المتكلم من كلمة (رب) هنا إشارة إلى العجلة في طلب النجاة مما يحل بهؤلاء، والرغبة في طي الأحرف التي يقوم غيرُها مكانَها للوصول إلى الهدف الْمَرُوم من أقصر طريق وأقرب أداء.

ولما كان الشيطان يتربص بابن آدم ويجري منه مجرى الدم، ويوسوس له بكل قبيح، وينهاه عن فعل الحسن المليح، جاء السياق الآتي بعنوان :

## رابعاً: الاستعاذة من وسوسة الشياطين:

وذلك في قوله تعالى: وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ [٣] .

---

(١) المؤمنون الآيتان : ٩٣، ٩٤.

(٢) البناء البياني لسورة المؤمنون في ضوء كتاب الموافقات للشاطبي ص ٢٩٠٥ د/ ممدوح شعراوي محمود . بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط . العدد الثامن والثلاثون . الجزء الثالث ٢٠١٩م.

(٣) المؤمنون الآيتان : ٩٧ : ٩٨ .

وقد أمر الله رسوله ﷺ بهذه الاستعاذة بعد أن قال له : ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ؛لتكون عونًا له على العفو والمعاملة الحسنة لمَنْ أساء إليه، وهذا – بلا شك – تعليم للأمة في شخص النبي ﷺ وكيف لا ؟ والحق سبحانه لم يجعل للشيطان على المؤمنين من سلطان، وفي ذلك يقول: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [1] أَفَيُمنع سلطانه على المؤمنين، ويكون له على سيد المرسلين من سبيل ؟! ومع ذلك أمره الحق ـ سبحانه ـ بالتعوذ من همزاتهم حتى تقتدي به الأمة ﷺ في ذلك ؟ وهمزات الشياطين هي (سورات الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه).[2]

وقد استغنى النظم الجليل بالكسرة عن الياء في لفظ الربوبية (رب) هنا فقال: ( رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ) للدلالة على سرعة إقباله ﷺ على ربه ، واعتصامه بعزته ؛ ليدفع عنه وسوسة هؤلاء وحضورهم معه في أي أمر من الأمور، ولا يَبْعد أن يكون في هذا الحذف دلالة على شدة القرب والمؤانسة ، ودفع الوحشة والانقباض عن رسول الله ﷺ عند تعوذه من همزات الشياطين وحضورهم إياه.

ولما أراد النظم أن يختم الحديث عن ألفاظ الربوبية الخاصة به ﷺ ختمها بمطلب كل مؤمن تقي، ورجاء كل مسلم نقي، ألا وهو طلب المغفرة والرحمة، ومن ثَمَّ جاء السياق الأخير لألفاظ الربوبية كالآتي:

---

(١) النحل آية : ٩٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ١٤٨/١٢ ، تح / أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش . دار الكتب المصرية . القاهرة . ط الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤.

**خامساً: طلب المغفرة والرحمة :**

**وذلك في قوله تعالى: وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ [١] .**

**وهذا إرشاد منه عز وجل (لأهل الإيمان . في شخصيَّة خير الأنام ﷺ بدوام اللجوء إليه تعالى ودعائه بالمغفرة والرحمة؛ لأنه الحصن الحصين والركن المتين الذي لا يخذل أولياءه ولا يترك أصفياءه ). [٢]**

**وقد اجتزأ النظم بالكسرة عن الياء في لفظ الربوبية فقال: رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ للدلالة على رفع الحواجز وانكشاف الحجب، وطي المسافة بين طالب الرحمة والمغفرة، وبين خالقه جلَّ في علاه؛ وليدل على أنه سبحانه أقرب ما يكون في هذه الحالة إلى مَنْ يدعوه، وكيف لا ؟ وهو القائل سبحانه : وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ [٣] فهذا نص صريح على قربه ـ سبحانه وتعالى ـ ممن توجَّه إليه ورفع إليه كفيه طالبًا منه الرحمة والمغفرة.**

**وهذا القرب يقتضي إزالة كل ما يعترضه، ومنع كل ما يحجبه، حتى ولو كانت ياء المتكلم المضاف إليها لفظ الربوبية..... والله أعلم**

---

**(١) المؤمنون آية : ١١٨ .**

**(٢) البناء البياني لسورة المؤمنون د/ ممدوح شعراوي ص ٢٩١٣**

**(٣) البقرة ١٨٦**

## المبحث الثالث

## بلاغة الاجتزاء بالكسرة عن الياء
## في سياق التحدي والوعيد والتهديد وما يضادها

وقد بلغ مجموع الآيات التي اشتمل عليها هذا المبحث تسع آيات جاءت في عدة سياقات خاصة متمثلة فيما يأتي:

### أولًا: الاستهانة بآلهة المشركين مع تحديهم:

وترى ذلك واضحًا في قوله تعالى: أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ [1] .

والاستهانة بآلهة المشركين المزعومة في هذه الآية واضحة جلية، ذلك بأن (الوثنيين قد خوَّفوا رسول الله ﷺ آلهتهم ، فأُمر ﷺ أن يقول لهم: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوَهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ * إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ فالسياق -كما ترى - استهانة بآلهتهم ، وتسفيه عابديها، ثم إظهار عدم المبالاة بالعابدين والمعبودين وأنه ﷺ يدعوهم لكيده في أسلوب متهكم لاذع يثير الحمية ، وقد أشار إلى القوة التي تدفع عنه وتجعله يعارضهم هذه المعارضة فقال: إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ) [2] .

---

(١) الأعراف آية : ١٩٥.

(٢) خصائص التراكيب د/ محمد أبو موسى ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ . مكتبة وهبة . ط السابعة.

والكلمتان محل الشاهد هنا هما قوله ﷻ لأولئك المشركين المتمسكين بعبادة تلك الأصنام: ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ حيث اجتزأ البيان العالي الياء من الكلمتين وعوَّض عنهما بالكسرة فيهما فلم تأت الكلمتان على هذه الصورة (كيدوني ، تنظروني) ، وما ذاك إلا لأن السورة مكية، وكون السورة مكية يستلزم أن يكون طلب الكيد وعدم الإنظار موجهًا إلى طرف واحد هم أولئك الملأ الذين تولَّوا كِبَر الكفر به وعدم الاعتراف برسالته ﷻ ومن ثَمَّ (أظهروا له التكذيب ، ونابذوه بالعداوة، وظاهروا على إخراجه ... وألَّبوا عليه العرب وحزَّبوا الأحزاب) [١] حتى ينالوا منه ومن دعوته، ويستطيعوا بما لهم من قوة ونفوذ كسر شوكته ، ومن ثم يتقاعس الناس عن الإيمان به، والالتفاف حوله، فتنطفأ جذوة الدعوة ويذهب ريحها إلى غير رجعة، أما الضعفاء والفقراء فلا يُوجه إليهم مثل هذا الطلب؛ لأنهم لا يستطيعون حيلة وليس لهم من الأمر شيء.

وعليه لما كان طلب الكيد وعدم الإنظار موجهًا إلى جزء قليل من أهل مكة، متمثلًا في السادة والكبراء اجتزأ النظم حرف الياء من فعل الكيد وعدم الإنظار فقال: ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ دليلًا على أن المخصوص بهذا تلك الفئة القليلة من أهل مكة.

ومما يدعم حذف الياء من طلب الكيد هنا – أيضا – اعتماد النبي ﷻ على ربه وولايته له سبحانه، وذلك بيِّنٌ في قوله – بعد جملة التحدي – : إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وكأن هذا التوكل وتلك الولاية هي القوة القاطعة لكيدهم من أول الأمر، بحيث ترى كيدهم لا يدوم ولا يثبت أمام ولاية الله لنبيِّه –

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٨٣/٥ ، دار الكتب العلمية . بيروت . ط الأولى ١٤٠٤هـ .

عليه الصلاة والسلام – ومن ثَمَّ جاء هذا الاجتزاء في طلب الكيد وعدم الإنظار ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ إشارة إلى سرعة زواله وعدم ثبوته، ومن ثَمَّ لم تثبت الياء في طلب الكيد وعدم الإنظار.

ثم إن هناك أمـرًا آخر يستدعي أن يأتي عدم الإنظار دون ياء في آية الأعراف – وعلى مثيلاتها في غيرها – ألا وهو المعنى المراد منها ، لأن معنى فَلاَ تُنظِرُونِ أي : (لا تمهلون لحظة فما فوقها لئلا تَعْتَلوا في الإنظار بعلة) [1] وعدم الإمهال يقتضي عدم تطويل الكلام والاقتصار منه على ما يُؤدي الغرض ويُفهم المراد، وعليه حذفت الياء من (تنظرونِ) لأجل هذا المعنى ؛ لأن ثبوت الياء وإطالة زمن الكلمة ينافي التحدي الموجه إليهم.

**فإن قيل:** فلماذا ثبتت الياء في طلب الكيد عندما نطق به سيدنا هود – عليه السلام – فقال: إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ [2] ؟

**قيل :** لعل السياق الذي اكتنف كلًا من الآيتين هو ما دفع إلى حذف الياء في (الأعراف) وإثباتها في (هود)، ويتضح ذلك في (أن المقام في [هود] مقام تحد كبير ومواجهة، فأظهر نفسه زيادة في التحدي، إذ المتحدي وطالب المواجهة لا بد أن يظهر نفسه، وليس الأمر كذلك في [الأعراف] فإنه ليس فيها هذا التحدي الكبير، يدل على ذلك سياق كل من الآيتين فقد قال في [الأعراف] : إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ١٩٧/٨ . دار الكتاب الإسلامي . القاهرة .

(٢) هود : ٥٤ ، ٥٥.

ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ أما في هود فالمقام فيها مختلف، فقد دعاهم هود – عليه السلام – إلى عبادة الله وحده وترك ما عداه فقال لهم : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ [(١)] فرفضوا قوله وردوا عليه قائلين : يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّـهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ فهم لم يكتفوا بردِّ دعوته بل قالوا له: (إن بعض آلهتهم اعتراه بسوء، مما جعله يتحداهم ويتحدى آلهتهم ، وأشهد الله وأشهدهم على البراءة من آلهتهم، ثم دعاهم جميعًا إلى كيدهم له، ثم لا يمهلونه إن استطاعوا ، وزاد كلمة (جميعا) زيادة في التحدي، ومِنْ ثَمَّ أظهر نفسه بذكر الياء) [(٢)] فقال : فَكِيدُونِي جَمِيعًا .

ومما سبق يُعلم أن التحدي القائم في سورة (هود) ليس كالتحدي الموجود في (الأعراف) حيث إن طلب الكيد الموجود في الأعراف وُجِّه إلى سادة القوم وأشرافهم وهؤلاء فئة قليلة بالنسبة لباقي أهل مكة، ومِنْ ثَّم اقتصر النظم على الكلمة من غير ياء فقال: ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ أما في هود فلمَّا كان التحدي موجهًا إلى جميع المكذبين من السادة والأتباع والرؤوس والأذناب ،مع استنفاده جميع الوسائل التي تدفعهم إلى الإيمان به زاد في الكلمة (الياء) فجاءت كثيرة الأحرف دلالة على كثرة مَنْ تحداهم، وعليه فقلة مَنْ تحداهم في الأعراف ناسبها مجيء الكلمة قليلة الأحرف . أي محذوفًا منها حرف الياء . وكثرة من تحداهم في هود ناسبها مجيء الكلمة كثيرة الأحرف – أعني بوجود الياء – دليلًا على ذلك ... والله أعلم

---

(١) هود : ٥٠ .

(٢) أسرار البيان في التعبير القرآني د/ فاضل صالح السامرائي . المكتبة الشاملة . قسم البلاغة . الكتاب مرقم آليًا غير موافق للمطبوع.

## ثانياً : إنكار اختصاص النبي ﷺ بالرسالة مع الوعيد بالعذاب:

عُلم من السياق السابق أن التحدي الذي جاء على لسان سيدنا محمد ﷺ في قوله : ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ كان موجهًا إلى سادة قريش وأصحاب الكلمة فيهم، وما ذاك إلا لإنكارهم دعوته ﷺ وعدم اعترافهم بنبوته ورسالته، وقد تمثل عدم الاعتراف بتلك الدعوة في تساؤلهم، واستفهامهم الإنكاري الذي قالوا فيه: أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا [1] .

(ولما ذكر استنكارهم لنزول القرآن على رسول الله ﷺ دونهم، بين السبب الذي لأجله تركوا التصديق برسول الله ﷺ فيما جاء به فقال: بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي أي من القرآن أو الوحي؛ لإعراضهم عن النظر الموجب لتصديقه، وإهمالهم للأدلة الدالة على أنه حق مُنَزَّل من عند الله بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ أي: بل السبب أنهم لم يذوقوا عذابي فاغتروا بطول المهلة، ولو ذاقوا عذابي على ما هم عليه من الشرك والشك لصدقوا ما جئتَ به من القرآن ولم يشكوا فيه ). [2]

والكلمة محل النظر في آية (ص) هي قوله (عذاب) حيث حذف النظم حرف الياء منها واستعاض عنها بالكسرة، وكان حقها- على ما يبدو - أن تأتي بالياء فتكتب (عذابي)، ولكن الناظر إلى سياق الآيات يرى أن النظم الكريم يتحدث عن تعجب قريش من مجيء الرسالة في رجل فقير منهم ؛ ليأمرهم أن يعبدوا إلهًا واحدًا ويتركوا ما سواه من آلهتهم التي ألفوا عبادتها والطواف حولها، ومن ثَمَّ رموه بالسحر والكذب، ودَعَا بعضهم بعضًا إلى الصبر على عبادة آلهتهم وتَرْك ما يدعوهم إليه

---

(١) ص آية : ٨ .

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب القنوجي ١٢/١٥ تح/ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري . المكتبة العصرية للطباعة . صيدا . بيروت . ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

صاحبهم، وفي ذلك يقول سبحانه: وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ* مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ* أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (١) .

إذن الكلام هنا عن كفار أهل مكة، وسادة قريش في الصدارة منهم، وهؤلاء لم يأتهم عذاب كما كان في السابقين المكذبين منهم، فلم تأخذهم صيحة، أو رجفة، ولم يروا ريحًا عقيمًا، أو عذابًا أليمًا ... إلخ ما حلَّ بغيرهم ممن سلكوا طريق الضلال قبلهم.

وعليه فالعذاب الذي خُوفوا به لم يقع بعد، ولم يذوقوه كما ذاقه الذين من قبلهم، إذن هو عذاب غائب عنهم لم يأتهم بعد، وعليه لما غاب هذا العذاب عنهم غابت الياء من كلمة (عذاب) في آية (ص) إشارة إلى ذلك، هذا إذا كان المراد بالعذاب فيها العذاب الواقع في الدنيا، وإن كان المراد بالعذاب عذاب الآخرة فهو كذلك متأخر غائب لم يحن أوانه بعد، وعليه لم تأت الكلمة كاملة الأحرف لهذا السبب.

**ومن الممكن أن يقال:** إنَّ من دواعي حذف الياء من كلمة (عذاب) مجيء (لمَّا) في تركيب الجملة بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ؛ لأنها توحي بتوقع حدوث العذاب دون الجزم بأنه قد وقع بالفعل، وهذا التوقع يناسبه مجيء الكلمة غير تامة الأحرف ،ويتساوق تساوقًا تامًا مع الاجتزاء بالكسرة فيها؛ لكونه دليلًا على أنه لم يحدث بعدُ، ثم التعبير بالإذاقة يَذُوقُوا وما يوحي به هنا من الخفة في أمر العذاب؛ لكونه – إنْ حلَّ بهم – لا يكون عذاب إهلاك واستئصال كما كان في السابقين، إكرامًا لنبيِّه وحبيبه ﷺ–

(١) ص الآيات : ٤ : ٨ .

والدليل على أن النظم اجتزأ بالكسرة عن الياء في آية (ص) فقال : بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ لكون العذاب لم يقع بعد = هو أن النظم ذاته قد أثبت هذه الياء في مواضع أخرى سبق فيها ذكر العذاب صراحة فقال: وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ * وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١) .

**حيث قال هنا :** عَذَابِي بالياء لمَّا قال سابقًا: أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ لكونه عذابًا قد وقع وشُوهد ، ثم التعبير بالإصابة في قوله:( أُصِيبُ بِهِ) وهي أشدُّ من الإذاقة الواردة مع كفار قريش ،ولمَّا حلَّ الإغراق بقوم نوح – عليه السلام – عقابًا لهم على تكذيبهم إياه قال : وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ * وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢) فانظر كيف قال: عَذَابِي لكون الإغراق قد حلَّ بهم فعلًا.

**وقال عن قوم عاد :** إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣) .

**وقال عن قوم لوط:** وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ * فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٤)

---

(١) الأعراف الآيتان : ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) القمر الآيات : ١٣ : ١٦ .

(٣) القمر الآيات : ١٩ : ٢١.

(٤) القمر الآيات : ٣٧ : ٣٩ .

فالريح الصرصر التي أهلكت عادًا، وطمس الأعين لقوم لوط عذاب قد وقع فعلًا ، وعليه يمكن القول بأن نوع العقاب إذا وقع وحلَّ بالمكذبين تأتي كلمة (عذابي) تامة الأحرف، وإذا لم يكن قد وقع بعدُ تأتي كلمة (عذاب) بدون ياء إشارة إلى ذلك.

**والله أعلم**

ولما أنكر سادة قريش اختصاص النبي ﷺ بالرسالة ورموه بالسحر والكذب، أراد الحق سبحانه التخفيف عن نبيِّه ما اعتراه مِنْ هَمٍّ جَرَّاء عدم إيمانهم فقال له :

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ [(١)] .

والآية كأنها (تسلية للنبي ﷺ وتعريض بوعيدهم ، فالخبر مستعمل مجازًا في وعد رسول الله ﷺ بأن الله سيعاقب أعداءه). [(٢)]

والكلمة المجتزأ فيها بالكسرة عن الياء هنا هي كلمة (وعيد) في قوله ( فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ) وقد حذف النظم الجليل الياء من كلمة (وعيد) دون أن يقول (وعيدي) توافقًا مع المعنى المؤم من هذه الكلمة؛ لأن التذكير وإن كان خاصًا بأهل الإيمان واليقين الكامل فيما جاء به سيد المرسلين ﷺ فإن الأمر بالتذكير يطوي وراءه وعيدًا صارمًا لأهل الكفر من سادات مكة الذين أعرضوا صفحًا عن كل ما جاء به ﷺ وهذا الوعيد لم يروا منه شيئًا بعدُ، وإنما هو (إشارة إلى اليوم الآخر) [(٣)] واليوم الآخر غيب مطوي عن المؤمنين ولكنهم آمنوا بما سيقع فيه، وغيب مطوي عن الكافرين لكنهم أنكروا كل ما يتعلق به من البعث والحساب والجزاء، وعليه لما كان

---

(١) ق آية : ٤٥ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٣٣/٢٦.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٥٨/٢٨ .

المراد بالوعيد هو العذاب المُعَدّ لهم في الآخرة، وهو أمر غيبي = غابت الياء من كلمة (وعيد) إشارة إلى ذلك.

ومما يقوي حذف الياء – أيضًا – أن ما وُعدوا به من العذاب الأليم في الدار الآخرة لم يروه، ولم يشاهدوه في دنياهم، فكأن هذا الوعيد لمَّا لم يقع بعدُ ولم يكتمل أمره في أعينهم = لم تأت الكلمة كاملة الأحرف إشارة إلى ذلك ، وإنما اكتفى بما يدل على ما وراءها دون اكتمال حروفها ... والله أعلم.

## ثالثاً : تهديد المشركين بمصير السابقين

لما كانت الآية السابقة التي تقول : نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ [1] = تعريضًا بالوعيد الذي ينتظر أولئك المكذبين من أهل مكة، أراد الحق سبحانه هنا أن يسوق إليهم نماذج من مصير السابقين الذين امتطوا صهوة العناد، وأَسرجوا لِجامَ الكفر وعدم الانقياد، حتى يكون ذلك تسرية عن النبي ﷺ وتهديدًا لأولئك المكذبين الضالين فقال:

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ [2] .

وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ * وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ [3] .

---

(١) ق آية : ٤٥ .

(٢) الحج الآيات : ٤٢، ٤٣ ، ٤٤.

(٣) سبأ الآيتان : ٤٤ ، ٤٥ .

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١) .

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٢)

مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي البِلادِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ . (٣)

**والكلمتان محل الدراسة في تلك الآيات السابقة هما (نكير ـ عقاب)** ، والنكير والعقاب في تلك الآيات اسم لعذاب مضى شأنه، وانتهى أمره بصور شتى، وصنوف مختلفة وطرق متعددة، أنزله الله على من جابهوا دعوة الرسول بالكفر والتكذيب والعناد فَكُلًا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤) ولكن هذه الصنوف المتنوعة من العذاب الواقع بالأمم السابقة بقي لها ذكر في الخالفين، وتواترت بها أخبار الناقلين، بل شاهد أهل مكة بعضًا من آثار هذا العذاب – دون الحدث ذاته – حيث قال عن قرى قوم لوط وما حل بهم : وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (٥) وذلك حين سفرهم للتجارة إلى بلاد الشام.

---

(١) فاطر الآيتان : ٢٥ ، ٢٦.

(٢) الرعد آية : ٣٢.

(٣) غافر الآيتان : ٤ ، ٥.

(٤) العنكبوت آية : ٤٠ .

(٥) الصافات الآيتان : ١٣٧ ، ١٣٨ .

ومن هنا يمكن القول بأن تلك الصنوف من العذاب التي حلت بالأمم السابقة لما غاب زمن وقوعها عن أهل مكة ولم يروها حال نزولها على من سبقهم غابت الياء من كلمتي (نكير وعقاب) إشارة (إلى غيبة وقوع الحدث وبقاء ذكره). [١]

وقد أراد سبحانه أن يُذِّكر أهل مكة بفظاعة العذاب الذي حل بهذه الأمم (فصاغ الإشارة إلى ذلك في أسلوب الاستفهام المثير فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ وهو استفهام المراد منه التهويل والتفظيع والتعظيم .. للدلالة على أنه مسبب عن أفعال ومواقف منكرة، وفي هذه التسمية إلماح إلى ضلالهم ونكارة سلوكهم).[٢]

وما مضى من ثبوت العجز للآلهة المزعومة ، وإنكار اختصاص النبي ﷺ بالرسالة، وتهديد المشركين بمصير السابقين، إنما هو القسم الأول من مبحث الآيات الدالة على التحدي والوعيد والتهديد، ثم يأتي القسم الثاني من هذه الآيات متمثلًا فيما يدل على البشارة، وذلك في قوله تعالى:

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ [٣]

وقد سبق هذه الآية سياق ذكر الوعيد لأولئك العاكفين على عبادة أصنامهم، وترك عبادة الحق جلَّ في علاه، وفي ذلك يقول سبحانه :

فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ المُبِينُ * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ [٤] .

---

(١) لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثماني د/ عبد العظيم المطعني ٢/٧٧ .

(٢) لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثماني د/ عبد العظيم المطعني ٢/٥٣ ، ٥٤ .

(٣) الزمر آية : ١٧ .

(٤) الزمر الآيتان : ١٥ ، ١٦.

ثم تأتي الآية التي معنا بشارة لمن ترك عبادة الأصنام وأخلص دينه للواحد العلام فتقول: وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ [١] .

والكلمة محل النظر في آية الزمر التي بين يدي القارئ هي كلمة (عباد) الواردة في قوله: فَبَشِّرْ عِبَادِ دون : (فبشر عبادي) وما ذاك إلا لأنه (خطاب لرسوله ﷺ على الخصوص، فقد توجه الخطاب إليه في فهمنا، وغاب العباد كلهم عن علم ذلك، فهم غائبون عن شهود هذا الخطاب لا يعلمونه إلا بواسطه الرسول ) [٢] ﷺ ، ومن هنا لما غاب العباد عن حضور الخطاب الإلهي لرسوله غابت الياء في الكلمة إشارة إلى ذلك.

**وقيل:** إن كثرة حروف الكلمة وطول بنائها (عبادي) تدل على كثرة المجموعة المتحدث عنها في سياقها، مقارنة بالمحذوف منها الياء (عباد) فإنها تدل على قلة المتحدث عنهم نسبيًا في سياقها، والدليل على ذلك قوله تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ [٣] فالمراد بالعباد هنا عموم الناس دون تمييز بين جنس وآخر، ولا بين عربي ولا عجمي.

---

(١) الزمر الآيتان : ١٧ ، ١٨ .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤٠٤/١.

(٣) البقرة آية : ١٨٦.

**وكما في قوله : نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ [١] فهذا عام يشمل المؤمن والكافر والطائع والعاصي دون تفرقة بينهم، وكما في قوله تعالى: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ [٢] لأنك ترى أن المسرفين على أنفسهم أكثر من الطائعين، بدليل وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ [٣] [٤] .**

**إذن كلمة (عبادي) تطوي تحتها مجموعة كبيرة عن البشر، ومن ثَمَّ ناسبها أن تأتي الكلمة تامة الأحرف، أما كلمة (عباد) فتدل على أن المراد بها عدد قليل نسبيًا مقارنة بمن سواهم، بدليل قوله تعالى في الآية السابقة : فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ [٥] حيث (حذفت الياء لأنهم طائفة أقل، فالذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه هم قليل ، حتى إنه لم يقل : فيتبعون الحسن، وإنما قال: الأحسن فدل على أن المخاطبين قلة) [٦] ، (ثم ذكر أن هؤلاء هم الذين هداهم الله وأنهم أولوا الألباب فحذف الياء لقلة المذكورين نسبيًا ). [٧]**

---

(١) الحجر: آية : ٤٩.

(٢) الزمر: ٥٣.

(٣) يوسف آية : ١٠٣.

(٤) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني . فاضل صالح السامرائي ص ٢٧ . الطبعة الثانية . القاهرة . ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٥) الزمر الآيتان : ١٧ ، ١٨ .

(٦) لمسات بيانية د/ فاضل صالح السامرائي . المكتبة الشاملة . قسم البلاغة . الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع.

(٧) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٣٣

ومن ذلك قوله تعالى: قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ [١] حيث ترى هنا أن العباد المؤمنين ، المطلوب منهم التقوى زيادةً على أمر الإيمان أقل نسبيًا ممن سواهم، ومِنْ ثَمَّ دل حذف الياء من (عباد) على هذه القلة ، ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ [٢] .

فلا شك أن هؤلاء العباد المُؤَمَّنِيْن من الخوف والحزن، يوم الفزع الأكبر أقل نسبيًا من جملة مَنْ يدخلون النار، ويصلون سعيرها ، وعليه فكلمة (عباد) تدل على مجموعة أقل نسبيًا ممن سواهم... والله أعلم.

---

(١) الزمر آية : ١٠ .

(٢) الزخرف الآيات : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠.

## المبحث الرابع

## بلاغة الاجتزاء بالكسرة عن الياء في سياق

## الحديث عن اليوم الآخر

وقد ضم هذا المبحث ثلاث آيات يدل سياقها على أحداث اليوم الآخر، وقد اجتزأ النظم الكريم بالكسرة عن الياء في بعض كلماتها ، وهذه الآيات بحسب ترتيب المصحف كالآتي:

١- وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ المُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ [١] .

٢- فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ [٢] .

٣- مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ [٣] .

وإذا كانت هذه الآيات خاصة بأحداث يوم القيامة فإن ترتيب تسلسلها في المصحف الشريف قائم على ترتيب أحداث وقوعها، وذلك بيِّن في أنّ آية (ق) إنما هي وعيد للمشركين المنكرين للبعث، حيث سُبقت بقوله:

فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ * وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ المُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الخُرُوجِ [٤] حيث إن المعنى (فاصبر على ما يقول المشركون من إنكارهم البعث، فإن مَنْ قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام

---

(١) ق آية : ٤١.

(٢) القمر آية : ٦ .

(٣) القمر آية : ٨.

(٤) ق الآيات : ٣٩ : ٤٣ .

منهم) [١] ، وحمل جمهور المفسرين الاستماع في قوله تعالى : وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ على حقيقته، على معنى: استمع نداء المنادي لتلك العظام البالية يوم تُدعى للخروج والنشور، ونَحَا ابنُ عطية الأندلسي إلى حمل (استمع) على المجاز ليكون المعنى: انتظر [٢] فقال: (لأن محمدًا ﷺ لم يُؤمر بأن يستمع في يوم النداء، لأن كلَّ مَنْ فيه يستمع، وإنما الآية في معنى الوعيد للكفار، فقيل لمحمد ﷺ تحسس هذا اليوم وارتقبه ... أي كن منتظرًا له ومستمعًا) [٣] .

ولعل حذف الياء ـ في آية (ق) من الفعل المضارع (ينادِ) وفاعله (المناد) جاء موافقًا لجو السورة العام ، حيث إن الناظر في سورة (ق) من أولها إلى آخرها لا يجد (ياء المتكلم) هذه موجودة في أيِّ آية من آياتها الخمس والأربعين، ومن ثَمَّ عمد النظم إلى حذف الياء من (ينادِ) و(المناد) تماشيًا مع غياب ضمير المتكلم من السورة.

ثم إن هناك أمرًا آخر يعد من الأسباب الظاهرية لهذا الحذف ، ألا وهو أن سورة (ق) بُنيت آياتها كلها على الاختصار والإيجاز في الكلام، مع الإيقاع السريع في توالي الآيات، حتى إنك لا تجد فيها آية واحدة من الممكن أن تقول عنها: إنه آية طويلة، ترى ذلك من أول قوله: ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ إلى آخر قوله: فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ومِنْ ثَمَّ لمَّا اختصر النظم جميع آياتها وبناها على الإيجاز والإيقاع السريع، اجتزأ النظم بالكسرة عن الياء في كلمتي (ينادِ ، المنادِ) مشاكلة وموافقة لما بُنيت عليه السورة.

---

(١) الكشاف للزمخشري ٣٩٢/٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٣٢٩/٢٦ .

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ١٦٩/٥ .

وإذا كان التعليل اللفظي الظاهر لا يُردُّ – جملة – في تعليل مثل هذه التساؤلات، بل يُستأنس به إلى أن يضع الباحث يده على علة تروي غُلته، وسبب مقبول يقضي نَهْمَتَه،

فإن ذلك لم يتحقق لي – مع كثرة ما قرأته حول آية (ق) التي معنا – اللهم إلا إذا نظرنا إلى أن الآية تتحدث عن أمر غيبي لم يقع بعد، وعليه لما كان الحديث عن أمر غيبي مطوي عنا غيَّب البيان العالي (ياء) الفعل (يناد) وياء الفاعل (المناد) من رسم الكلمة إشارة إلى ذلك ، ولا يبعد أن يكون وراء هذا الحذف (التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل) [1] ، وأن الأمر لا يستغرق سوى بعض الكلمات المتمثلة

**في قوله:** (أيتها الأجسام البالية، والعظام النخرة، والأجزاء المتفرقة عودي كما كنت). [2]

فلما كان هناك سرعة في تلبية الأمر من المنادى حذف النظم الياء من الفعل وفاعله دليلًا على ذلك فقال:

وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ [3] .

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٧٣/٤ تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦٤/٧ تح/ صدقي محمد جميل . دار الفكر . بيروت . ١٤٢٠هـ

(٣) ق الآيتان : ٤١ ، ٤٢.

فإذا ما نادى المنادي على تلك العظام البالية والأجزاء المتناثرة فعادت كما كانت، جاء مشهد آخر وهو مشهد الخروج من الأجداث الذي يقول الله فيه لنبيه ﷺ :

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (١).

إذن المشهد هنا مشهد أخروي يختص أهل التفسير ببيان كيف يكون وعلى أي صورة يأتي، **ولكن هل لنا أن نقول** في تعليل مجيء (الداع ) محذوف الياء كما قيل في (المناد) السابق ذكره في سورة (ق) من أن الآيات تتحدث عن أمر غيبي لم يقع بعد، وعليه غابت الياء من كلمة (الداع) إشارة إلى ذلك ؟

**الجواب:**

إن كون الآيات تتحدث عن أمر غيبي، لم نشاهد حقيقته بعد، هو ما أدى إلى غياب الياء من كلمة (الداع) في سورة القمر أمر وارد لا غضاضة في تكراره، طالما أن سياق الأحداث لم يتغير بعد ، حيث إن جميع الآيات تتحدث عن مشاهد غائبة عنا لم نبصر أحداثها ولم ندرك بعدُ ما وراءها.

ولكن إذا كان هناك سبب آخر يدعم حذف الياء في سورة القمر غير ما مرَّ من كون المتحدث عنه أمرًا غيبيًا ، فلا بأس من ذكره وإماطة اللثام عن كنهه ...حيث إنه قد يكون (المناد) في سورة (ق) في قوله :

وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ هو ذات (الداع ) في سورة القمر التي جاء فيها:

(١) القمر الآيات : ٦ ، ٧ ، ٨ .

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ولكن جاء في سورة القمر ما يدل على أن المدعوين فيها هم الكفار فقط دون ما سواهم من المؤمنين ، **وذلك لأمرين:**

**الأول:** هو قوله تعالى: يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ والشيء النُّكر لا يُدعى إليه أهل الإيمان الذين قال الله في شأنهم: أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّـهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّـهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ [1] وقال أيضًا: لاَ يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ [2] ، وقال أيضًا : فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ اليَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا [3] .

**والأمر الآخر :** هو قول الكافرين المَدْعُوِّين في ذلك اليوم: هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ وأيُّ عُسرٍ على مَنْ قال الله في شأنهم:

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ [4] فهل مِنْ عُسْرٍ يكون على مَنْ صار في ذلك اليوم آمنا مُؤَمَّنًا من كلِّ هول وشدة.

وعليه فالمَدْعُوُّن في سورة القمر (هم الكفار فقط لأنهم يُدعون إلى شيء نكر، ويقولون هذا يوم عسر، أي: إن المدعوين في سورة القمر هم جزء من الناس وليسوا

---

(١) يونس : الآيات : ٦٢، ٦٣ ، ٦٤.
(٢) الأنبياء آية : ١٠٣.
(٣) الإنسان آية : ١١.
(٤) الأنعام آية : ٨٢.

جميع الناس، بمعنى أن السياق جزئي). [١]

ومِنْ ثَمَّ لمّا كان الحديث عن جزء ممن يكون في أرض المحشر اجتزأ البيان العالي الياء من كلمة (الداع) وجاء بالكسرة عوضًا عنها تنبيهًا على ذلك...

**ومن الممكن أن يقال في نهاية هذا المبحث:** إنَّ أحداث اليوم الآخر أحداث سريعة ومتلاحقة ، إذ يأتي بعضها عقب بعض من دون أن يكون هناك مهلة زمنية للراحة أو الاسترخاء، بل إن فزعة أحداث الوقوع في هذا اليوم ، وهول ابتداء أمره، وسرعة الأحداث وتلاحقها ، كلها دلالات مطردة تؤدى إلى الاجتزاء الحاصل في هذا السياق. والله أعلم.

(١) عجائب القرآن . زياد السلوادي . ٦٠

## المبحث الخامس

## بلاغة الاجتزاء بالكسرة عن الياء في سياق نداء النبي قومه ﷺ

واللفظ الدال على ذلك في ساحة هذا المبحث هو كلمة (قوم) التي تدل على أقارب الرجل، وعلى عصبته التي ينتمي إليها، وقد ورد هذا اللفظ في آيتين من الذكر الحكيم أُمر النبي ﷺ فيهما بمخاطبة قومه، وهما قوله تعالى:

قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١) .

وقوله: قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٢) .

ولعل أول ما يلفت نظر القارئ الكريم في هاتين الآيتين هو أن السياق الذي يجمعهما سياق واحد، إذ كلتاهما وعيد وتهديد لأولئك المشركين الذين ناصبوا رسول الله ﷺ العداء، وجابهوه بالتكذيب والإيذاء، وراحوا يُسفهون رأيه في كل ناد، ويصدون عنه مِنْ كلِّ واد، حتى ضيقوا على الدعوة الخناق، ولم يكن بينهم وبينها أدنى وفاق، فما كان من الحق سبحانه إلا أن أنزل على رسوله ﷺ من الآيات ما فيه وعيد لأولئك المتغطرسين، وصناديد الكفر المبين، وكان من جملة هذه الآيات آيتا الأنعام والزمر السابق ذكرهما، وإذا كانت السورتان مكيتين فلا عجب أن يكون سياقهما وعيدًا وتهديدًا لأهل مكة ممن ضل واتبع هواه بغير علم.

---

(١) الأنعام آية : ١٣٥.

(٢) الزمر الآيتان: ٣٩ ، ٤٠.

والكلمة محل الشاهد فيهما هي كلمة (قوم) الواردة في قوله: يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ حيث جاءت هذه الكلمة منادى مضافًا إلى ياء المتكلم، فكان حقها أن تكتب بالياء، فيقال (يا قومي)، ولكن النظم الكريم حذف هذه الياء واستعاض عنها بالكسرة التي تحت الميم فقال : (يَا قَوْمِ) إذن لا بد أن يكون لهذا الحذف من سر دقيق أدى إليه، وعلة بيانية اتكأت عليه، ولعل هذا السر وتلك العلة تكمن . والله أعلم . في أن النظم الجليل أراد أن يُعلمنا ويبين لنا حالة الانفصال العقدي التي بين الرسول ﷺ وبين قومه، حيث إنَّ قوله لهم: اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ معناه:

(اعملوا عملكم المألوف الذي هو دأبكم، وهو الإعراض والتكذيب بالحق ... وجملة إِنِّي عَامِلٌ تعليل لمفاد التسوية من الأمر في قوله: اعْمَلُوا أي: لا يضرني تصميمكم على ما أنتم عليه، لكني مستمر على عملي، أي: غير تارك لِمَا أنا عليه من الإيمان والدعاء إلى الله). (١)

ومِنْ ثَمَّ فهو في أعلى رتب الموحدين، وذروة سنام المؤمنين، أما هم ففي دركات الكفر ماكثون، وفي قعر الضلال مقيمون، فكيف يلتقيان وعلى أيٍّ لاحبٍ يجتمعان، وحالُه وحالُهم كما قال القائل:

رَاحَتْ مُشِّرِقَةً ورُحْتُ مُغَرِّبًا ∴ فَمَتَى الْتِقَاءُ مُشَرِّقٍ بِمُغَرِّبِ (٢)

وعليه لمَّا لم يكن بينه ﷺ وبين قومه شيء من دلالات القرب الإيماني أثناء ندائهم المُوجه إليهم، وكانت الوَهْدَةُ بينهما عميقة، والهُوَّةُ فاصلة سحيقة = عمد

(١) التحرير والتنوير ٩١/٨.

(٢) البيت في : إعجاز القرآن للباقلاني ٢١٥ ، تح/ السيد أحمد صقر . دار المعارف . مصر . ط الخامسة ١٩٩٧م.

النظم الكريم إلى ما يُبين ذلك ففصل بينه وبينهم في رسم المنادى (قوم) عن طريق الاجتزاء بالكسرة عن الياء التي هي ضميره العائد إليه ﷺ حتى لا يكون لهم شرف الإضافة إليه ﷺ حتى ولو في رسم الكلمة والنطق بها.

**فإن قيل:** إن صح ما سبق من سبب عدم الإضافة إليه في قوله: يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ فلم أضافهم إلى نفسه في قوله: يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا [1] ؟

**قيل:** إن الأمر مختلف بين الموضعين، حيث إن قوله : يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ... تهديد ووعيد بأن إصرارهم على ما هم عليه من العداوة والكفر سيقودهم إلى عذاب يخزيهم ونار تلفحهم وتشويهم، مصداقًا لقوله:

قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ [2] ومِنْ ثَمَّ لمَّا توعدهم بالعذاب فصل النظم بينه وبينهم لئلا يجتمعوا معه على صعيد واحد ولو في النطق.

**أما قوله** : يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ( فإنما هو شكاية منه ﷺ إلى ربه في هجران قومه ما جاء به إليهم من الذكر الحكيم ، الذي فيه الهدى والنور.

وهذه الشكاية ليس فيها شيء من الوعيد أو التهديد، وليس فيها دعاء عليهم بإنزال العذاب، أو التخويف ممن تكون له عاقبة الدار، ومِنْ ثَمَّ استبقى النظم إضافة قومه إليه ﷺ ليُنبه فيهم أنه منهم وهم منه، فلا ينبغي أن يهجروا ما جاءهم به، كيف؟

---

(١) الفرقان آية : ٣٠.

(٢) الزمر آية : ٣٩.

وقد نعتوه بالصادق الأمين، ووسموه بمكارم الأخلاق في سابق عهده معهم، أَفَيُعقل بعد ذلك أن يكذبوه ويهجروا قرآنه وصِدْقَ بيانه ؟ ومِنْ ثَمَّ خفف الله عنه بقوله:

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا [(١)].

(فهذه تسلية للنبي ﷺ بأنَّ ما لقيه من بعض قومه هو سُنة من سنن الأمم مع أنبيائهم ... وقد أعقب التسلية بالوعد بهداية كثير ممن هم يومئذ معرضون عنه) [(٢)]، فقال: وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) فلما كانت الهداية في انتظارهم، والإيمان به آت في مستقبل أيامهم، استبقى النظم الجليل إضافة قومه إليه ﷺ فقال:

( يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ) للدلالة على أنه هنا منهم، وهم بعدُ منه ... والله أعلم.

---

(١) الفرقان آية : ٣١.

(٢) التحرير والتنوير ١٧/١٩ ، ١٨ .

## الخاتمـــة

الحمد لله الذي وفق وأعان، وعليه وحده المُعَوَّلُ والتكلان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، ورحمة الله الكريم المنان، وعلى آله وصحبه والتابعين أولي الهدى وأرباب الإيمان ... **وبعد**

فها قد وصل البحث إلى خاتمته، واستوى على سوقه قدر استطاعته، ومِنْ ثَمَّ كان لزامًا على الباحث أن يضع بين يدي القارئ الكريم أهم النتائج التي رصدتها تلك الدراسة، وكانت موضع النظر فيها، **ويتمثل ذلك فيما يأتي**:

١- انتهت الدراسة إلى أنَّ كل حديث عن أمر معنوي غير ملموس ترى النظم الكريم قد اجتزأ بالكسرة عن الياء في الكلمات التي جاءت تحت مظلة هذا السياق، وذلك كما في حذف الياء من كلمة (يهدين) في قوله: وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا [الكهف٢٤] ، حيث إن الهداية المطلوبة هنا هداية معنوية تتمثل في عدم نسيان تقديم المشيئة الربانية عند الوعد بالإجابة، وكما في قوله تعالى: فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ حيث إن المراد بالاتباع هنا هو الاتباع العلمي في دين الله بالجوارح المقصود بها وجه الله وطاعته ... إلخ ذلك.

٢- رصدت الدراسة أنه في كل حديث عن أمر جزئي خاص، أو طائفة محدودة يجتزئ النظم ياء المتكلم من الكلمات الواردة في هذا السياق إشارة إلى ذلك ، كما في الحديث عن سيدنا عيسى ودعوة قريش للإيمان به ﷺحيث قال : وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ [الزخرف ٦١] بينما لما كان الحديث موجهًا لأمة الدعوة جميعًا جاء الفعل ذاته تام الأحرف فقال: قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ [آل عمران ٣١] وذلك للدلالة على عموم المخاطبين المتحدث إليهم.

٣- أثبتت الدراسة أنَّ كلَّ حديث عن أمرٍ غيبيٍّ، غير مشاهد للنبي ﷺ يقابله غياب الياء في آخر الكلمة من جملة الخطاب الموجه للنبي ﷺ ، وذلك مثل غيابها في قوله: وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ [ق٤١] وقوله : فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ [القمر: ٦] وقوله : مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ [القمر: ٨] وقوله : فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ [ق:٤٥]...إلخ ذلك.

٤- تحقق البحث من أنه إذا ذُكرتْ أنواع العذاب التي حلَّت بالسابقين من المكذبين لرسلهم صراحة، جاءت كلمة العذاب المضافة لذات الحق سبحانه كاملة الأحرف (عذابي) ولم يكن هناك اجتزاء بالكسرة عنها، كما في قوله عن قوم عاد: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ [القمر: ٢١] وقوله تعالى عن قوم لوط : وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ [القمر: ٣٧] أما إذا لم يكن هذا العذاب قد وقع بعدُ فتأتي كلمة العذاب بدون (ياء) كما في قوله: أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ  [ص : ٨].

٥- اطَّردَ مجيء كلمة (عبادي) تامة الأحرف للدلالة على كثرة المجموعة المُتحدَّث عنها في سياقها مقارنة بالمحذوف منها الياء (عباد) فإنها تدل على قلة المتحدث عنهم نسبيًا في سياقها، بدليل قوله تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ [البقرة ١٨٦] فالمراد بالعباد عنها عموم الناس دون تخصيص أحد منهم، ومثل ذلك قوله سبحانه :

نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ [الحجر: ٤٩] فهذا عام لجميع الطائعين والعاصين ويشمل المؤمنين والكافرين، أما دلالة (عباد) على القلة النسبية فدليلها قوله : قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ [الزمر: ١٠] فهذا خاص بالمؤمنين المطلوب منهم التقوى، وأما قوله : يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ [الزخرف: ٦٨] ، فلا شك أن هؤلاء العباد المُؤَمَّنِيْنَ من الفزع يوم القيامة أقل بكثير ممن ضمتهم ساحة الحشر الأكبر.

٦- اطمأن البحث إلى أنَّ النظم الجليل قد اجتزأ بالكسرة عن الياء في نداء النبي ﷺ قومه فقال : يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ للدلالة على حالة الانفصال العقدي التي بينه وبينهم، وعدم وجود شيء من دلالات القرب الإيماني أثناء ندائهم المُوجَّه إليهم؛ لأنه ذيلها بالتهديد بالعذاب فسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ [هود: ٩٣] بينما استبقى إضافتهم إليه في قوله : يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القُرْآنَ مَهْجُورًا [الفرقان ٣٠] ، لكون ذلك كان شكاية إلى ربه فقط، وليس فيها شيء من الوعيد بإنزال العذاب بهم، فنبَّه بذلك على أنه منهم وهم بعدُ منه ...والله أعلم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## فهـــرس المصـــادر والمراجـع

١- أسرار البيان في التعبير القرآني . فاضل صالح السامرائي . المكتبة الشاملة . قسم البلاغة .

٢- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تـح/ محمد أبو الفضل إبراهيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

٣- إعجاز القرآن للباقلاني تـح/ السيد أحمد صقر . دار المعارف . مصر . ط/ الخامسة ١٩٩٧م.

٤- إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش (دار اليمامة - دمشق - بيروت )ط: الرابعة ، ١٤١٥ هـ

٥- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد . لابن عجيبة الفاسي . تح/ أحمد عبد الله القرشي . الناشر: د/ حسن عباس زكي . القاهرة . ١٤١٩هـ.

٦- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي . تح/ صدقي محمد جميل . دار الفكر . بيروت . ١٤٢٠هـ.

٧- البرهان في علوم القرآن للزركشي تـح/ محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية . بيروت . ط / الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

٨- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني . فاضل صالح السامرائي . ط/ الثانية . القاهرة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٩- البناء البياني لسورة المؤمنون في ضوء كتاب الموافقات للشاطبي د/ ممدوح شعراوي محمود . بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط . العدد الثامن والثلاثون . الجزء الثالث٢٠١٩م.

١٠- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور . الدار التونسية . تونس .١٩٨٤م.

١١- تفسير القرطبي . تح/ أحمد البردوني . دار الكتب المصرية . القاهرة . ط/ الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

١٢- التفسير الكبير للرازي . دار إحياء التراث العربي . بيروت . ط الثالثة . ١٤٢٠هـ .

١٣- الجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن د/ سامح القليني . مكتبة وهبة . ط الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

١٤- خصائص التراكيب د/ محمد أبو موسى . مكتبة وهبة . ط السابعة.

١٥- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي . تح: الدكتور أحمد محمد الخراط / الناشر: دار القلم، دمشق

١٦- روح المعاني للآلوسي تح/ علي عبد الباري عطية . دار الكتب العلمية . بيروت . ط /: الأولى ١٤١٥هـ .

١٧- سنن الترمذي تح/ إبراهيم عطوة معوض . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر . ط / الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

١٨- عجائب القرآن لزياد السلوادي . الدار العربية للعلوم ـ ناشرون ـ ٢٠١٣م

١٩- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي . دار الكتب العلمية . بيروت . ط/ الأولى ١٤٠٤هـ.

٢٠- فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب القنوجي . تح/ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري . المكتبة العصرية . صيدا . بيروت . ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٢١- الكشاف للزمخشري . دار الكتاب العربي . بيروت . ط الثالثة ١٤٠٧هـ.

٢٢- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي . تح/ عادل أحمد عبد الموجود . علي محمد معوض . دار الكتب العلمية . بيروت . ط الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٢٣- لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثماني . د/ عبد العظيم المطعني. تقديم أ.د إبراهيم صلاح الهدهد – صادر عن مجلة الأزهر الشريف.

٢٤- المحرر الوجيز لابن عطية تح/ عبد السلام عبد الشافي محمد . دار الكتب العلمية . بيروت . ط/ الأولى ١٤٢٢هـ .

٢٥- المعجزة القرآنية . حقائق علمية قاطعة . أحمد عمر أبو شوفة . دار الكتب الوطنية . ليبيا . ٢٠٠٣م.

٢٦- مقامات الحريري . مطبعة المعارف . بيروت ١٨٧٣م.

٢٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي . دار الكتاب الإسلامي . القاهرة.